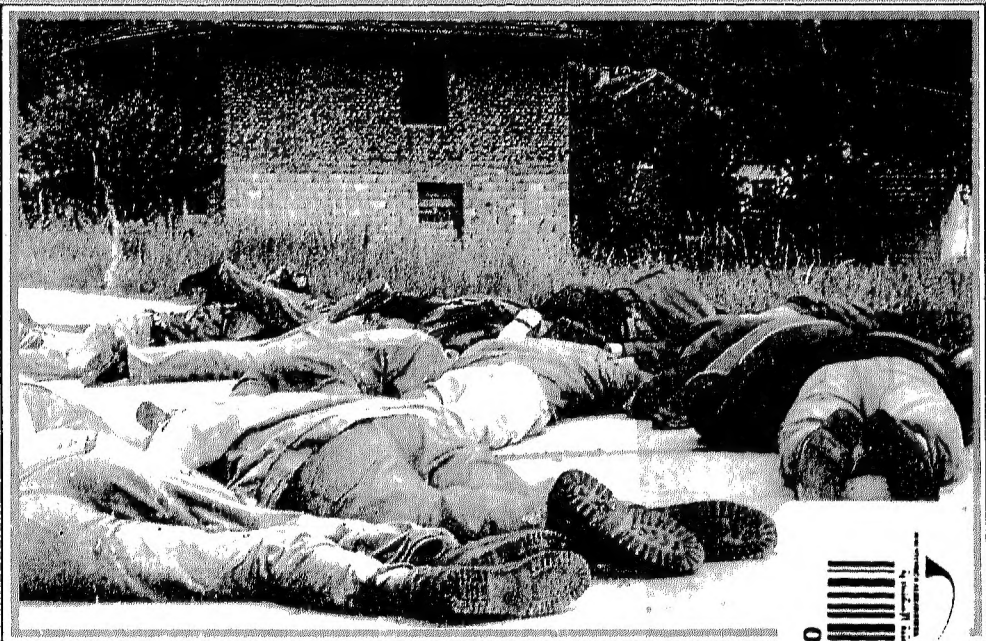


سيد حمدي

شاهد على مأساة البوسنة



مركز الدراسات العربية والدولية
مؤسسة الأبحاث للصحافة والنشر



شاهد
على مأساة البوسنة

اهداءات ١٩٩٩
سفارة دولة الإمارات العربية
المتحدة بالقاهرة

الطبعة الاولى
السنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

أصدر : مؤسسة الأمل للنشر
الإخراج : محمد عباس

سيد حمدي

شاهد على مأساة البوسنة

مؤسسة الأحرار للصحافة والنشر
مركز الدراسات العربية والدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الرقم	الاسم	الرقم	الاسم
٤١.....	● الفصل الثانى:	٦.....	..الاهداء
.....	الرحلة الثانية.....	٧.....	..تقديم
٤٣.....	..تقديم	٩.....	● الفصل الاول:
٤٥.....	..مجرد نموذج	الرحلة الاولى.....
٤٧.....	..التاريخ الملطخ	١١.....	..تقديم
٥٢.....	..عمر باشا	١٣.....	..مطار بلجراد
٥٥.....	..مصطفى سليموسكى	١٤.....	..الحقبة السيئة
٥٧.....	..شمس تانكوبيتش	١٦.....	..اللغم الثانى
٦١.....	..سليمان واجليانين	١٧.....	..حقيقة الجوار
٦٢.....	..التقاطعات والصدمات	١٩.....	..التصدى .. المواجهة
٦٤.....	..النشاط اليومى	٢١.....	..بحار الدم
٦٥.....	..حالة استغاثة	٢٣.....	..صوت المدافع
٦٧.....	..متقفون واخرون	٢٤.....	..السمة الذهبية
٦٩.....	..زاوية طائفية	٢٦.....	..صورة ناصعة
٧٠.....	..مؤسسة الرئاسة	٢٨.....	..اشاعات واقاويل
٧٢.....	..خاتمة	٢٩.....	..مستشار الرئيس
٧٥.....	..ملحقات	٣٣.....	..بيجوفيتش..رمز
٨١.....	..المأساة بالصور	٣٦.....	..فرانيو توجمان

«الاهـداء»

الى أبى رحمه الله.. فلا يزال
صوته وهو يصدع بالقرآن كل
صباح ينساب فى أذنى. اللهم
اجعل مبتدئى ومنتهائى فى
ميزان حسناته.

تقديم

استغرقتني احداث يوغوسلافيا وهي تعيش حالة الانهيار كمشروع اتحادى تأسس خارج حدود التاريخ والجغرافيا وكذلك الدين. فجأة انشقت الخريطة عن لوحة تحمل تقريبا نفس الحدود الداخلية لدولة المارشال تيتو وظهرت خمس دول من رحم الدولة الام. اختارت مونتيغرو «الجبل الاسود» البقاء مع صربيا في ظل دولة واحدة، وانفصلت او استقلت كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا • والبوسنة والهرسك. وسط هذه التداعيات برزت البوسنة والهرسك ثم كرواتيا ساحتين لاكثر الصراعات دموية بمواجهة صربيا. واذا كانت كرواتيا قد حسمت امرها منذ اللحظة الاولى - وربما قبلها واتخذت طريق الحرب، فان البوسنة ظلت حتى اللحظة الاخيرة متمسكة بخيار السلام دون ان يضطر ذلك بلجراد الى احترام قرار سراييفو بالاستقلال.

رحلتى الاولى الى اسلاء يوغوسلافيا مع نهاية عام ١٩٩١ وبداية عام ١٩٩٢ حملتني داخل اتون الازمة وطاحونتتها. ازمة سياسة واقتصاد وهوية وتاريخ يتسرب فجأة من بين ملايين الايدي التي اخذت تستعيد الحقائق مع مرور الوقت.

شغلتنى في رحلتى الاولى قضية الدين. سؤال كبير طرحته على تلك الصراعات المريرة. هل يمثل الدين الارضية الاكثر اتساعا التى تتشكل فوقها كل العناصر الاخرى اللازمة قبل ان تكتسب ملامحها النهائية؟ عوامل كثيرة ومتنوعة تفسر المواقف هنا وهناك. تأكدت اكثر من اهمية السؤال في رحلتى الثانية اواخر مايو واولئ يونيو من عام ١٩٩٢. على مستوى الداخل لاحظت قرزا عرقيا يتطابق وقرزا دينيا في نفس الوقت.. صربيا ارثوذكسية وكرواتيا كاثوليكية والبوسنة والهرسك مسلمة.. على مستوى الخارج تبدى عامل الدين بشكل اوضح. دعم او تعاطف روسى رومانى يونانى لصربيا والجميع ينتمون للكنيسة الارثوذكسية. دعم غرب اوروبى لكرواتيا وكلاهما - في الاغلب - من الكاثوليك. تعاطف واضح من رجل الشارع في العالم الاسلامى مع البوسنة والهرسك.

مستوى الدعم الذى تلقاه كرواتيا الكاثوليكية من الغرب خرج بالجمهورية الناشئة الى عالم الشرعية الدولية ذات كيان واضح محدد يتمتع بسلطة مركزية قوية رغم تواجد صربى مسلح فوق ثلث اراضيها. في نفس الوقت تتبلور ملامح مقايضة لا تخفى على اى متابع يمارسها الغرب في تعامله مع البوسنة. فلا هو مستمر في دعمه السياسى والعسكرى لها حتى النهاية ولا هو يريد الضغط على صربيا حتى النهاية على طريق الالتزام بالمقررات الدولية. يتبين اكثر مع مرور الوقت واشتداد القصف الصربى ان الغرب يتمنى على القيادة البوسنوية تقسيما فعليا للجمهورية مع الابقاء على الشكل الخارجى للدولة الواحدة بحيث تفقد اى مضمون يمكنها من التحرك بفعالية وسط محيطها او مجالها الاوروبى. من جهة قدم الرئيس على عزت بيجوفيتش موافقته على نظام سياسى علمانى كى يهدئ مخاوف غربية حقيقية من توجيهات الغالبية المسلمة، فلم يكف ذلك! كان المطلوب دولة بلا دولة او جمهورية تحمل بذور التفتت قابلة للانفجار في اى وقت.

● يمثل المسلمون ٤٠% من سكانها البالغ اجمالهم ٢.٥ مليون نسمة ولديهم ايضا معاناتهم ومشاكلهم.

هذه - اذن - محاولة لفهم الواقع البوسنوي للتعرف على مختلف تضاريس الازمة ورصد اعلى القمم وابرزها للعيان دون اغفال القمم الصغيرة المجاورة التى قد تنتمى لها بطريقة او باخرى. محاولة متواضعة عبر جهد صحفى لرصد واقع الازمة بالخبر والتحقيق والحوار فى اروقة السياسة وشوارع المدن المنكوبة وكذلك جبهات الحرب. واذا كان ثمة شكر يوجه بهذا الصدد، فاننى اذكر بكل التقدير الدور الذى قامت به جريدة «الاتحاد» التى لم يتردد القائمون عليها فى ابتعاضى الى مواقع الازمة برغم اننى اتحمل مسئولية مدير مكتب الجريدة فى العاصمة الفرنسية. ولا انسى موقف الزميل الاستاذ عبيد سلطان مدير التحرير الذى اعطى موافقته فوراً فى المرتين لكنه اضاف جديداً فى الرحلة الثانية حين طلب منى عدم الذهاب الى جبهة الحرب حرصاً على سلامتى. الامر الذى ترك لدى اثرا عميقا وتقديرا حقيقيا لذلك الموقف الانسانى رغم اننى لم استطع مقاومة اغراء زيارة الجبهة فى البوسنة والهرسك ومعايشة اجواء المعارك كما حدث تماما فى الزيارة الاولى.

سيد حمدى

باريس فى

١٩٩٢/٧/٦

الفصل الاول

الرحلة
الاولى



مع حلول اليوم الاول من عام ١٩٩٢ وفي ظل المعارك المستعرة بين صربيا وكرواتيا كانت بلجراد تحتفل بحلول السنة الميلادية الجديدة مدركة تماما انها المرة الاخيرة التي تحتفل بها تحت اسم يوغوسلافيا التي يعرفها العالم. ظلت القيادة الصربية ممثلة في شخص رئيسها سلوبودان ميلوسفيتش على اصرارها من اجل استمرار الاتحاد اليوغوسلافي بالشكل الذي رسم الرئيس تيتو ملامحه. لكن البحث في واقع الشارع وقرارات الحكومة كانا يكشفان بسهولة انهيار الحلم الاتحادي. اعتمدت صربيا دينارا جديدا «العملة الوطنية» بعدما سبقتها الى خطوة مماثلة جمهوريتا كرواتيا وسلوفينيا. بدا وقتها سيناريو ترتكز ملامحه الى خروج سلوفينيا من المواجهة مع صربيا سليمة معافاة بعد معارك استمرت نحو اسبوعين فقط، كرواتيا التي اعلنت ايضا استقلالها تخوض حربا شرسة مع صربيا. البوسنة والهرسك تريد استقلالا قائما على السلام وحده. بقي من الاتحاد القديم الجبل الاسود «مونتينيغرو» التي آثرت السلامة واختيار الجانب الصربي. اما مقدونيا فقد كان واضحا انها تسير ايضا نحو الاستقلال.

ايضا مع حلول اليوم الاول من عام ١٩٩٢ تأكد ان باب الشرعية الدولية صار مفتوحا على مصراعيه في ظل رغبة اوروبية ظاهرة للاعتراف بالجمهوريات التي نزعته عن نفسها الصفة اليوغوسلافية. تحدد الخامس عشر من يناير موعدا للاعتراف من قبل المجموعة الاوروبية باستقلال اى من هذه الجمهوريات مع التركيز بصفة خاصة على سلوفينيا وكرواتيا بدعم من المانيا التي حملت لواء الاعتراف في ردهات الديبلوماسية الاوروبية. الموقف الصربي الملء شعورا بالمرارة لخصته تصريحات رسمية عدة مفادها «نحن لا نطالب باكثر من الحفاظ على وحدة دولتنا.. لسنا دعاة انفصال». رددوا اتهامات عدة لدول المجموعة الاوروبية وعلى رأسها المانيا. قالوا «انهم لا يريدون وحدتنا. يبذلون كل جهدهم لاتمام مشروع الوحدة الاوروبية. في الوقت ذاته يبذلون كل جهدهم لقطع اوصال يوغوسلافيا الاتحادية. باختصار ان ما يحدث هو انفصال هنا ووحدة هناك». عشت هذه الايام العصية في شوارع بلجراد وزغرب وايضا سراييفو عنادا ومرارة في الاولى.. تحديا وآلاما في الثانية.. وفي الثالثة تلويح بورقة السلام وثقة كبيرة في المستقبل. ادرك الجميع في تلك المرحلة الفاصلة ان الصرب يسبحون ضد التيار. فالدستور الاتحادي نفسه يعطى الجمهوريات

شاهد على مأساة البوسنة

المنخرطة في الدولة حق الاستقلال مشترطا سبيل الحوار لا الحرب. حوارات كثيرة مع دبلوماسيين اجانب ومسؤولين تبين من خلالها ان الصرب يعرفون مثل غيرهم ان الاتحاد مآله الى انفصال. كل ما هنالك انهم يريدون قضم اكبر مساحة ممكنة من الاراضى الواقعة خارج حدودهم. ومعاركهم في كرواتيا والبوسنة والهرسك تؤكد هذا المخطط.

ارتكزت الدبلوماسية في معالجة الازمة مع كرواتيا وسلوفينيا الى رؤية محددة للموقف الاوروبى. لوح طرفا النزاع في (يوغوسلافيا ، تيتو بورقتى الاقتصاد والدين على حساب الشرعية والمواثيق الدولية. منذ بدء الصراع مع الكروات وتحديدًا في منتصف عام ١٩٩١ حينما اعلنوا استقلالهم، بدأ للصرب ان اوروبا الساعية الى تجسيد حلم الوحدة نهاية عام ١٩٩٢ ستتصدى لزعرب لعدة عوامل ابرز هذه العوامل عدم تكريس سوابق انفصالية تدعم اتجاهات غرب اوروبية مماثلة كالجيش الجمهورى الايرلندى، والباسك الاسبان والفرنسيين، والكاتلان الاسبان. لقى التصور الصربى فشلا ذريعا واندفع القطار الاوروبى خلف القاطرة الالمانية الاكثر حماسا لاستقلال كرواتيا. فقد بذلت بون جهدا كبيرا وابدت استماتة على هذا الطريق لمصلحة استراتيجية لا تخفى على احد. رأت ان وجودها كدولة موحدة تبحث عن دور يتلاءم وامكانياتها وتاريخها يستلزم البحث عن منافذ بحرية اكبر من ميناء هامبورج المطل على الاطلنطى. ووجدت ضالتها في ساحل بحر الادرياتيک الذى تمتلك كرواتيا اغلب شواطئه. كرواتيا الكاثوليكية لاقت دعما ضخما من الفاتيكان بمواجهة صربيا الارثوذكسية. كان في ذلك تفسيرا امنيا لدعم غرب اوروبا لكرواتيا. شذ عن ذلك اليونان الارثوذكسية التى لجأت ومعها توليفة متباينة تضم روسيا ورومانيا الارثوذكسيتين الى تفهم ان لم يكن تأييد صربيا. الموقف اليونانى يفسره اكثر مخاوف اثينا التى نشأت بعد اعلان جمهورية مقدونيا الاستقلال وتهديد ذلك للامن القومى اليونانى.

هذا هو ملخص الموقف الذى يمسك بخناق الازمة ويزيدها توترا مع مرور الوقت. ادركت وانا في طريقى الى بلجراد اننى في الطريق الى عاصمة صربيا وليس الى عاصمة يوغوسلافيا التى ظهر واضحا ان عقدها ينفرط دون ان تملك إلتقاط حباته المتناثرة او جمهورياته التى آثرت الانفصال.

مطار بلجراد

وصلت مطار بلجراد قادما من باريس والعام ١٩٩١ يتنفس ساعاته الاخيرة والشارع يعيش أجواء أعياد الميلاد المشوبة بقليل من أحزان الحرب وهمومها.

الخريطة اليوغسلافية مكونة من ست جمهوريات، ثلاث منها تمثل المفاتيح الرئيسية لفهم الموقف بشكل يسمح بالتعميم على سائر ملامح وتضاريس الخريطة التي تودع التاريخ. أعنى بذلك صربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك في بلجراد ورثوا حلم الدولة الاتحادية التي ظلت تغطي بشكل أو بآخر هيمنة صربية على صناعة القرار. في زغرب أجمع الشارع على خيار الحديد والنار للانسلاخ عن الجسد الاتحادى والاكتفاء بحدود الجمهورية الكرواتية. في سراييفو تشبثت القيادة ومعها الشعب بخيار السلام كسمة تاريخية للتعايش في جمهورية البوسنة التي تعرف أقليات دينية ضخمة.

استهلكت جولتى ذات الاتجاهات الثلاثة بادئا ببيلغراد أتحسس ذلك السطح الساخن الذى يموج بالانفعالات والاحباطات والاصرار. بلجراد يناير ١٩٩٢ تعيش بالفعل حكاية أو قصة ذات واقعين مختلفين، واقع الانتماء الفيدرالى السائد رسميا باعتبارها عاصمة اتحادية للدولة التي أرساها تيتو وفجرتها حقائق التاريخ، وواقع الانتماء الدينى والعرقى كعاصمة لجمهورية صربيا الارثوذكسية، وهو الشعور الموجود في الشارع وكرسته الحرب الدائرة على الحدود مع كرواتيا.

الرحلة من بلجراد الى زغرب.. من صربيا الى كرواتيا، لم تعد رحلة داخل الوطن، بل رحلة تبدأ من يوغسلافيا وتصل الى المجر وتنتهى في يوغسلافيا، فليس هناك ثمة وسيلة للاتصال المباشر على مستوى المواصلات وأيضا البشر تحت واقع الثارات والدم وواقع الدين والجغرافيا والتاريخ. الأزمة مع كرواتيا ليست اللغم الوحيد الموجود خارج الحدود أو على الحافة الصربية، الغام الداخلى عديدة أبرزها اقليم كوسوفو حيث تعيش أغلبية من المسلمين تعدادها نحو مليونى شخص من أصول ألبانية. فاجواء الحرب الصامتة تخيم على الاقليم الذى يخلو تقريبا من المصانع ويتنفس فقرا ويرقد فوق مناجم الفحم ويختال بزراعاته الوفيرة. كوسوفو لغم الداخلى لايعرف اختراع الشوارع المرصوفة إلا ذلك الشارع الممتد عبر أراضيه ضمن شبكة المواصلات اليوغسلافية السريعة، وبعض الشوارع الأخرى.

كوسوفو يوغسلافيا صورة أخرى لألبانيا أوروبا. كلاهما الأفقر داخل محيطه الجغرافى، وكريشتينا العاصمة شاهد على حالة الترقب والتوجس تجاه بلجراد. اعدامات تطال المسلمين على الوزن والقافية الشرق أوسطية، «تم ضبط تنظيم إرهابى سرى في كوسوفو يخطط لقلب نظام الحكم» ثم تجيء المحاكمة أياها، وغالبا ما تتم بطريقة «تنظيم.. محاكمة صورية.. فاعدام» دون أن يسمع العالم شيئا.. لا منظمات حقوق الانسان ولا الأمم المتحدة.. ربما لا يسمعون أو لا يريدون السماع!

الواقع الصربى ممزق بين رغبة حقيقية في الابقاء على يوغسلافيا كصيفة جامعة لكل الجغرافيا والبشر المنتمين للعلم ذى الألوان الأحمر والأبيض والأزرق والنجمة. واقع يشعر بمرارة شديدة

شاهد على مأساة البوسنة

من الانقلاب الكرواتي بتاريخه المتعاطف مع ألمانيا النازية. ودولة كرواتيا التي اقيمت وقت الحرب العالمية الثانية مؤيدة وداعمة للزعيم الألماني أدولف هتلر. عادت أخيرا ظاهرة الحزب السياسى المسلح حتى أسنانه. ظهرت مجددا ميليشيات الاوستاش الكرواتية الدموية التي اختلفت حتى مع الرئيس فرانيو تودجمان. في المقابل ظهرت مثلثتها الصربية التشتيك تمثل الاثنان عسبا رئيسيا في البنية العسكرية للجمهوريتين خاصة كرواتيا. الصرب من جهةتهم يعتبرون عودة الاوستاش عودة للنزعة النازية ويؤكدون ذلك بالاهمية القصوى التي توليها ألمانيا - حتى في غير ظل النازية - لانفصال أو استقلال كرواتيا.

الصرب الأقرب الى الشرقيين بايجابياتهم وسلبياتهم يفتخرون بأنفسهم بمواجهة اتهامات كرواتية لهم بالكسل والتخلف. يتمتعون بروح الدعاية ومنفتحون وأصحاب تاريخ قديم وعلاقات دبلوماسية بين مملكتهم في بداية القرن وبعض الدول العربية. يعتبرون أنفسهم حماة المشروع اليوغسلافي الاتحادي رغم انقلابهم على زعيم التوجه جوزيف بروز تيتو الذي نزعت صورته من الوزارات والجهات الرسمية في العاصمة وبقيت فقط في مطاعم المسلمين القليلة بلجراد.

اصدقاء الامس المستشارون.. المعاونون، دعوا لنقل قبره الى كرواتيا التي رفضت - بدورها - استقبال أحد ابتائاتها الذي غادرها حيا وخسرهما ميتا. وسط الصراعات بين الغريمين ظهر بعض المتفائلين بعودة المياه الى مجاريها. انتى ماركوفيتش الملقب بجورباتشوف يوغسلافيا، سعى حتى اللحظة الأخيرة وأجرى اصلاحات اقتصادية حققت نتائج طيبة، لكن الصرب خذلوه بالاطماع السياسية، وتخلّى عنه الكروات بالانفصال. سقط وحيدا منبوذا من الجانبين ومع مرور الوقت وتوالى الاعتراف بكرواتيا وغيرها اتسعت الهوة وتباعدت المسافات بين المواقف الصربية والكرواتية وظل الاقتصاد أحد الرهانات الباقية للاحتفاظ بالحد الأدنى من التزامات الجوار. اذ تشير الاحصائيات الى اجمالي ديون مستحقة على الجميع - اتحاديين وانفصاليين - قيمتها ٢٥ مليار دولار. ويثور تساؤل كبير لدى الدبلوماسيين الأجانب في بلجراد حول كيفية التسديد. هناك اجماع على أهمية اشترك الجميع في تسديد الديون، فالمشكلة تكمن في الامكانية والكيفية. امكانية التزام بلد تستنزفه الحرب بدفع هذا المبلغ الضخم، وكيفية مشاركة الأخوة الأعداء في تحمل المسئولية والأقساط وبأى نسبة. وهناك سؤال آخر يطرح لدى السياسيين الصرب وأيضا الكروات حول التعويضات التي يجب دفعها عن ممتلكات اللاجئين من الجانبين.

الحقبة السيئة

تتذكر بلجراد جيدا الحقبة السيئة السمعة في تاريخ زغرب، يقول الصرب ان «جمهورية كرواتيا الحرة» التي أعلنت بتأثير ألمانيا النازية شهدت إبادة جسدية ضد الصرب. ففي معسكر واحد بمدينة ياسنو فاس تم قتل أكثر من ٢٠٠ ألف صربي ويهودي وغجرى «سجوينار» وآخرين ويؤكدون ان هذه الأخطار قائمة حاليا بفعل النزعة الكرواتية العنصرية. فالصراع - من وجهة نظرهم - يتم بين السلطة الكرواتية والشعب الصربي، ويسمونه ارباب السلطة الكرواتية ضد الشعب الصربي الذي يعيش داخل حدود كرواتيا ويتمثل في الهجوم ضد القرى الصربية بقذائف الـ ١٢٠ ملميمتر، وذبح السكان، وعندما يتحرك الفلاحون الصرب داخل كرواتيا فانهم يتحركون للدفاع عن أنفسهم. الأكثر من ذلك انهم ينفون أية مساعدة عسكرية اتحادية للشرطة الصربية في

كرواتيا، وانما يقتصر أمر المساعدة فقط على الطعام والمال والمواد الطبية.

المستولون الصرب يواصلون شرح موقف صربيا أو موقف يوغسلافيا الاتحادية الآيلة للزوال ويقولون انهم لا يعارضون حق تقرير المصير للشعب الكرواتى وليس لديهم مانع فى اقامة دولته الوطنية والابتعاد عن يوغسلافيا، كل ما هنالك انه يجب ألا يأخذ الكروات معهم جزءا من الشعب الصربى الذى اختار الصيغة الاتحادية. ويواصل المستولون عرض أدلتهم قائلين ان منطقة كرايى - على سبيل المثال - الواقعة داخل كرواتيا ترغب فى أن تكون جزءا من صربيا أو يوغسلافيا، يردون على اتهامهم بالسعى لتأسيس صربيا على حساب الآخرين بأن صربيا تعمل على استمرار يوغسلافيا ومواجهة الانهيار. ويتصدون بالرفض لمطالب الالبان فى كوسوفو بالاستقلال عن يوغسلافيا، باعتبار ان الشعب فى كوسوفو يمثل أقلية قومية البانية وهذا وحده غير كاف للاستقلال، فلا يوجد التزام من الأمم المتحدة أو مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى أو من أى جهة أخرى يشير الى حق أقلية فى اقامة دولة خاصة بها، وإذا ما حدث ذلك فى تكساس، فان المكسيكيين على الحدود الأمريكية - المكسيكية سيطالبون بضم جزء من تكساس للمكسيك، وهو أمر غير لائق بالتأكيد سواء كان فى الولايات المتحدة أو يوغسلافيا.



سلوبودان ميلوسيفيتش

سلوبودان ميلوسيفيتش الذى ارتبط اسمه بقيادة صربيا وقت الأزمة لا يعتبر الكروات فى البوسنة والهرسك أقلية، رغم انهم يشكلون ١٥٪ من اجمالى السكان، فهم شعب وكل الشعوب اليوغسلافية داخل الاتحاد تتمتع بحقوق متساوية، لذلك لا يمكن اعتبار أى منها أقلية مهما كان حجمها وموقعها، وهل يتناقض هذا الموقف مع موافقته على حق تقرير المصير فى كرواتيا؟ يقول: فى هذه الرحلة السريعة داخل عقل أهم مفاتيح الأزمة (اليوغسلافية) ان حق تقرير المصير مكفول للكروات وليس المقصود من ذلك الحدود الادارية لجمهورية كرواتيا التى لم تكن دولة داخل هذه الحدود وسط غبار الأزمة

استكشف بعض ملامح التحرك الصربى المغلف برداء الشرعية الدولية والمواثيق والمعاهدات، فهموا مبكرا القرار اليهودى النافذ فى كبريات عواصم العالم، ربما كان التقارب مع اسرائيل ورقة رابحة فى معركة دامية.. معركة بقاء وحفاظ على الدولة، هذه الرؤية قد تفسر التلهف الصربى كما الاسرائيلى على اعادة العلاقات بين الجانبين، تحركت اسرائيل والتقطت الخيوط المناسبة للبدء مع مختلف الفرقاء كل حسب طاقته وحاجته وأمانيه السياسية، ذهب وزير الاسكان السابق اربيل شارون الى بلجراى، وتم التعاقد مع شركتين كبيرتين لاقامة مساكن جديدة فى الأراضى العربية المحتلة لاستقبال المهاجرين اليهود، السلاح الاسرائيلى جاهز - بطبيعة الحال - لمن يقدر على الدفع والدعم، وتحديث المجلة الشهرية لوزارة الدفاع عن التواجد المحفوظ للسلاح الاسرائيلى فى يد الكروات، واسرائيل تدرك جيدا ان مستحيالات تيتو تحولت الى إمكانات على يد ميلوسيفيتش الصربى وتودجمان الكرواتى.

يحرص اليهود اليوغسلاف على التزام الحياد بمعنى عدم اشارة العداءة مع أى جمهورية

شاهد على مأساة البوسنة

يعيشون بها، وتقلص العدد بالتحديد في جمهورية كرواتيا عندما هربوا منها الى فلسطين وقت قيام «جمهورية كرواتيا الحرة» الشائع . انهم لا يرسلون ابناءهم للحرب في مختلف الجبهات. احيانا تحدث بعض التصرفات هنا أو هناك على مستوى فردى وقد شاهدت في جبهة الحرب بمدينة كارلوفاتس - حيث تدور المعارك - راية عليها نجمة داود كتعبير عن التضامن من قبل الاقلية اليهودية مع الاغلبية الكرواتية.

نازى الامس يختلف عن نازى اليوم - على الأقل - فيما يتعلق بالمسألة اليهودية وعمليات التخريب السياسى والاقتصادى للوطن من الداخل، العقيد دراغان قائد الاوستاش الكروات يتهمة الصرب بالنازية. ثائر على الجميع حتى القيادة السياسية الكرواتية التي اضطرت لاعتقاله قاتل وقواته بضراوة في مدينة فوكوفار، ولم تسقط الا بعد انسحابه منها، وكسب تعاطف الشارع الكرواتي وقدم نفسه كرمز وطنى يدافع عن تاريخ كرواتيا . ادى ذلك الى اهتزاز صورة الرئيس توجمان الذى يتهم بالتردد والتأخر في حسم الموقف مع الصرب.

هناك أزمة من نوع آخر مرشحة للاندلاع بعد أن تضع الحرب أوزارها، فالمعتقد ان اسرائيل ستتحرك للحصول على تعويضات من كرواتيا عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا هربا من «جمهورية كرواتيا الحرة» لكن المصدر ذاته يرى ان تل أبيب ايضا تحصر يوغسلافيا عصرا لصالحها، لذلك انتزعت الاعتراف من صربيا أو يوغسلافيا، وأهم دلالات الاعتراف المغزى السياسى والعميق باعتبار ان يوغسلافيا أحد مؤسسى حركة عدم الانحياز.

اللغم الثانى

اللغم الثانى ألبانى الهيئة والمضمون، فقد ظل الألبان المسلمون على مدى سنوات الاتحاد اليوغسلافى يعانون الحرمان والاضطهاد والفقر، نسبة غالبية من رجالهم يعملون بالخارج للحصول على لقمة العيش، والدخول الى حدود كوسوفو يعنى خروجا من الحدود اليوغسلافية الى العالم الثالث بكل مآسيه ومعاناته. تقدم هذا الاقليم الزراعى الغنى بالفحم مؤخرا للمجموعة الاوروبية بطلب للاعتراف حمل توقيع ابراهيم روجوفا رئيس حزب كوسوفو الديمقراطى.. الاحصائيات الدقيقة تذكر ان عدد سكان كوسوفو الاجمالى يبلغ ٢ر٢ مليون نسمة بينهم ٩٠٪ ألبان ينقسمون الى ٨٢٪ مسلمين و ٨٪ كاثوليك، ويشكل الصرب نسبة العشرة في المائة المتبقية، انتهاك حقوق الانسان له مظاهر عدة بينها الطرد من الوظائف وهناك نسبة ٨٥٪ من السكان الألبان المحرومين من حق العمل لدى الحكومة، واتخذت الحكومة الصربية - التى تضم إقليم كوسوفو - قرارا منذ حوالى عام يمنع التدريس باللغة الألبانية، مما اضطرت التلاميذ والطلاب الى البقاء في منازلهم عدا قلة قليلة جدا واصلت الدراسة باللغة الصرب - كرواتية أو اللغة القومية التى لا يجيدها الألبان.

الشائع ان الألبانى الذى يعيش في صربيا أو كرواتيا يعرف من لكنته وعدم اجادته اللغة الصرب - كرواتية، وجد الآباء حلا لابنائهم في الشتات سواء داخل الوطن في البوسنة والهرسك وكرواتيا أو خارج يوغسلافيا بالالتحاق بالمدارس الألبانية، والمعروف ان المهاجرين الألبان في الخارج منظمون بشكل جيد جدا وأصحاب نفوذ في دول المهجر، والمواطنون الألبان يشكلون العمود

الفقرى للأعمال الدنيا في الجمهوريات اليوغسلافية الاخرى فهم يشتغلون في أعمال القمامة ومسح الاحذية وحراسة السيارات، لقد أدت المظاهرات داخل كوسوفو الى اعدامات راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين، وفي خارج يوغسلافيا أقرزت حرجا للحكومة الصربية دون أن يغير ذلك من الأمر شيئا، والألباني ينظر للغة اليوغسلافية كلغة أجنبية، وهو شديد الاعتداد بقوميته ودولة ألبانيا، وعادة ما تظهر على التحرك السياسى للشارع في كوسوفو بصمة الدولة الألبانية، ويعتقد أن النزعة القومية في الاقليم تحتل المرتبة الأولى قبل الدين، هذا اللبس ربما جاء نتيجة لحملة التجهيل التي قادها الحزب الشيوعى اليوغسلافى على مدى عقود طويلة. تعتبر صربيا كوسوفو جزءا لا يتجزأ من صربيا بالأمس القريب. ووفقا للدستور كان أبناء الاقليم ينتخبون ممثلهم في البرلمان المحلى، الآن توقف كل شيء وانتهى هذا الشكل من أشكال المشاركة في الحكم، وقد ظلت كوسوفو جزءا من ألبانيا الى أن الحقها مؤتمر لندن بعد الحرب العالمية الثانية بدولة يوغسلافيا، وتعرضت البوسنة والهرسك المسلمة لنفس المشكلة في فترة سابقة من القرن الماضى بمقتضى معاهدة برلين - القسطنطينية. كانت حدود الجمهورية تمتد الى نصف الجبل الأسود وكامل منطقة السنجق، وكذلك تقلص ساحلها على بحر الأدرياتيك الى ٢٦ كيلومترا فقط بموجب اتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

عمدت صربيا الى اعطاء حوافز للصرب الراغبين في العمل بكوسوفو مثل بدلات السفر والاقامة، لتغيير التركيبة السكانية للأقليم على حساب المسلمين، وضمن حملتها الأخيرة التي شملت الغاء انتخابات الممثلين الألبان في البرلمان المحلى، اطلقت عليهم تسمية جديدة هي الـ «شيير» لم تعد تعترف بتسمية الألبان. أما سكان الاقليم المتأثرون بألبانيا حتى النخاع فظلوا يعكسون توجهات الحزب الشيوعى الألباني، وبعد الانفراج النسبى والتحولات في ألبانيا على حساب الحزب الشيوعى الحاكم شهدت كوسوفو رواجاً لنفس الخط. في كل الأحوال لم يغير ذلك شيئا من سياسات بلجراد، فقد عرفت شوارع كوسوفو مشهد الدبابات عام ١٩٨٢ حينما طالب أبناء الاقليم بالحكم الذاتى، واليوم تتواصل حالة ارهاب الدولة بأشكال مختلفة، ويتردد في كوسوفو ان الاقليم راغب في الالتحاق بألبانيا اذا ما تفككت يوغسلافيا بالكامل، وفي الصيغة الكونفدرالية ضمن منظومة تضم الجمهوريات التي تختارها كوسوفو، آخر حلقات التوتر اتهامات صربية بالقبض على تنظيم ارهابى بنفس السيناريو «إياه» بينما يعرض التلفزيون الاسلحة المستخدمة واعتقالات شملت عشرين شخصا.

كل هذه العناصر القديمة والجديدة تمنع واقعا بالغ التعقيد يصعب معه توقع احتمالات المستقبل، لذلك يسود اعتقاد بأن الصراع بين بلجراد وزغرب الذى يسير في خط متوازن مع صراع بلجراد - سراييفو تكتمل حلقاته بصراع بلجراد كرشتينا، وإذا كان الخطان الأول والثانى يمتدان الى خارج حدود جمهورية صربيا، فإن خطورة الخط الثالث انه يقع داخل الحدود.. حدود صربيا التي تصارع في كل الجبهات.

حقيقة الجوار

دخلت ألمانيا النزاع وكأنها طرف معنى بالأمر مباشرة ضد صربيا وقوفا مع كرواتيا في نفس الخندق، دولة ثانية أثرت المواجهة أيضا لصالح كرواتيا - وإن كان بدرجة أقل - هي المجر. تبادل

شاهد على مأساة البوسنة

وصربيا الاتهامات، وساد التوتر، حالة من الارتياح كست بودابست على المستويين الرسمي والشعبي لتدشين جمهورية كرواتيا المستقلة وخروجها من تحت العباءة الصربية - اليوغسلافية. يعود هذا الارتياح الى عوامل تاريخية قديمة صنعتها حقيقة الجوار الجغرافي، فقد ظلت كرواتيا جزءا من الامبراطورية النمساوية - المجرية حتى عام ١٩١٨، ولم تعرف اسم يوغسلافيا الا عام ١٩٢٩، لم يخف الصرب استياءهم من الموقف المجرى الداعم لكرواتيا مشيرين في ذلك الى تلقي الأخيرة دعما عسكريا من بودابست مما أجج نار الحرب المشتعلة، يرد المجرزيون موضحين حرصهم على عدم التدخل في شئون الغير واقتصار الأمر على المساعدات الانسانية فقط. تؤوى نحو ٣٥ ألف لاجئ كرواتي يقيم معظمهم في مخيمات، بينما يقيم نحو ٦ الاف لدى أقاربهم ويشكل هؤلاء عبئا على الاقتصاد المجرى الذي يعيش أصلا حالة معاناة وتضخم يطيح بالامكانيات المتواضعة لرجل الشارع يضاف الى هؤلاء ٤٥ ألف روماني لجأوا الى المجر هربا من الظروف الاقتصادية الأكثر صعوبة التي تعاني منها رومانيا.

ويلاحظ المسافر في محطة القطارات الرئيسية في بودابست ان الحرب في يوغسلافيا تلقي بظلالها على حركة المسافرين فقد تحولت العاصمة المجرية الى محطة ترانزيت للفرز العرقي والطائفي، الصرب الارثوذكس الفارون من الجحيم الكرواتي، يسافرون باتجاه زغرب - بودابست - بلجراد، والكروات الكاثوليك الفارون من الجحيم الصربي يسافرون باتجاه بلجراد - بودابست. زغرب لم يعد السفر من الوطن الى الوطن عبر الوطن ممكنا، فقد قطعت الحرب أوصال الوهم الفيدرالي، انقطعت المواصلات، ووقف الجيشان حائلا دون حركة العبور، أصبح المرور عبر المجر المتاخمة لحدود جمهوريتي صربيا وكرواتيا ضرورة لا مفر منها.

في القطار من بلجراد الى بودابست تعرفت على أم صربية يرقد وحدها الجندي مهندس الالكترونيات في المستشفى نتيجة اصابته بشظايا صاروخ طالت المخ وكل الجزء الأيمن من جسده، تنتقل بالقطار مرتين كل اسبوع لتزوره ومعها خطيبته في مدينة مجاورة داخل حدود صربيا، وفي محطة بودابست كانت المأساة ذات وجه آخر، زوجة كرواتية وصلت من صربيا وحيدة تاركة زوجها الصربي هناك كي تستقر هي في كرواتيا لاتعرف كيف والى أين يمكن أن تنتهي المأساة، فهما غير قادرين على العيش في صربيا فتتعرض الزوجة للمشاكل، ولا هما قادران على الحياة في كرواتيا فيلاقى الزوج المشاكل، تؤكد ان الحل في البحث عن بلد «ثالث»، عشرات الالاف من الزوجات المختلطة بين الصرب والكروات تعيش حالة من الهلع الاجتماعي ومصيرا تلفه الغيوم، رغم ذلك فان الاتجاه السائد في الشارع الصربي يلخصه أحد ركاب رحلة بلجراد - بودابست - زغرب بقوله «لانريدكم في الاتحاد وكفانا المشاكل التي جلبوها لنا» أما الكروات فالسؤال عن رأيهم لايعنى لديهم الكثير، حيث سبق السيف الصيغة الفيدرالية وأعلنت الدولة المستقلة واكتسبت الاعتراف من دول عديدة.

وسط حمى النعرات القومية التي يتراجع في ظلها العقل وكذلك القانون يبقى الاقتصاد بحساباته التي لاتخيب، يطل الاقتصاد برأسه عبر الصيغة الفيدرالية على طريقة الزعيم اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو، فقد عمد وبدأ واضح الى ربط القوميات خاصة الصربية

والكرواتية بواسطة اقتصاد متكامل يقوم بعضه على بعض، ما ينتج هناك يصدر الى هنا، وما ينتج هنا يصدر الى هناك، بل ان مصانع كاملة في جمهوريات مختلفة يقوم كل منها بانتاج أجزاء متخصصة يتم تجميعها كمنتج واحد في النهاية، هذه الصيغة من العلاقات الاقتصادية مازالت قائمة تحت سحب دخان المعارك ووسط رائحة البارود وحمامات الدم.

على المستوى الدستوري يبدو الصرب مصريين حتى الرمق الأخير من أجل الحفاظ على شكل الدولة الاتحادية، فمجلس الرئاسة أعلى سلطة في البلاد لم يعد اتحاديا من الناحية الواقعية، صحيح انه ينعقد ويصدر القرارات ويحاول اضعاف الشرعية على تحرك الجيش الصربي، لكنه لا يستند الى شرعية حقيقية في كل هذه الخطوات، المجلس يتكون رسميا من ثمانية أعضاء يتعاقبون على منصب الرئيس، ويمثل سائر الجمهوريات الاتحادية، هناك ممثل عن كل من البوسنة والهرسك وسلوفينيا وكرواتيا، ومقدونيا، وكلهم يطالبون ويحاولون تحويل الاستقلال والانفصال الى حقيقة، لذلك امتنع الجميع عن حضور ممثليهم في مجلس الرئاسة، وبقي أربعة أعضاء منهم ثلاثة عن صربيا وواحد عن الجبل الأسود التي تتبع عادة مواقف صربيا، وتمثل الجبل الأسود - الجمهورية الوحيدة التي لم تطالب بالاستقلال حتى الآن - أهمية قصوى لصربيا نظرا لانها تضم ميناء بار الضخم الذي يمثل منفذا بحريا حيويا للصرب لا يمكن الاستغناء عنه خاصة في الظروف الحالية.

التصدي.. المواجهة

يلخص الكروات صراعهم مع الصرب في امرين اساسيين. اولاً: التصدي لمحاولات إعادة تأسيس دولة صربيا الكبرى على حساب كرواتيا وغيرها من الجمهوريات. ثانياً: المواجهة بين قيادة شيوعية صربية اشعلت نار الحرب وليبرالية كرواتية صاعدة تبحث عن الاستقلال.

يشير الكروات الى «النهج التوسعي الصربي» وبرز مظاهره الغاء الحكم الذاتي لاقليم كوسوفو الواقع داخل جمهورية صربيا وضمه الى دولة صربيا. بذلك اعيد تشكيل الحدود الداخلية ليوغسلافيا في انتهاك للواقع الذي اقره «المجلس المعادي للفاشية» اثناء الحرب العالمية الثانية. اضافة الى ذلك اعلن ضم جمهورية الجبل الأسود وهي في الاصل جمهورية تتمتع بالاستقلال الذاتي داخل النظام اليوغسلافي الاتحادي. وتشكل الجبل الأسود حالياً أهمية قصوى لصربيا حيث توفر لها المنفذ البحري الوحيد، ميناء بار. تتواصل الحجج الكرواتية استنادا الى عنصر الزمن والتوقيت في التطورات المأساوية التي تدور على ارض يوغسلافيا سابقا فقد تزامنت تحركات بلجراد لتأسيس صربيا الكبرى مع التحولات الضخمة التي سادت اوروبا الشرقية.

وبينما اتجهت مجموعة الدول الاشتراكية سابقا الى تبني النظام الرأسمالي، اتجهت بلجراد لتأسيس صربيا الكبرى التي عرفها التاريخ في فترات سابقة.

يؤكد الكروات تعثر عجلة التنمية في صربيا وانتشار العجز في الجسد الاقتصادي بسبب تبني الاشتراكية او الشيوعية. يبرهنون على معاناة الاقلية بالمستوى المعيشي المتردى لكل من كوسوفو ذات الاغلبية المسلمة والجبل الأسود. في الوقت ذاته يوضحون ان الاقلية الصربية تتمتع بالامان في كرواتيا عكس الاقلية الكرواتية في صربيا. وتذكر فينسنا شكاره المتحدث باسم رئاسة الجمهورية الكرواتية ان الصرب يشكلون اغلبية في ١١ مدينة كرواتية هي - بينكوفاتشي، ودوني لاباتش،

شاهد على مأساة البوسنة

ودفور، وجلينا، وجراتشاس، وكنين، وكوستانيتشا، واوبروفاتش، وتورنيتشا، وفوجنيك، وفرجينهوست.

اقل مستويات الاغلبية تقع في مدينة بينكوفاتش بنسبة ٥٧٪، واعلاها في مدينة دوني لاباتش بنسبة ٩٧٪.

تبلغ المساحة الاجمالية لكرواتيا ٥٦٨٠٠٠ الف كيلومتر مربع، ويسكنها ٤٧٦٠ مليون نسمة، يعيش ٥٦٠ من هؤلاء في المدن، وتستأثر العاصمة زغرب بعشرين في المائة من اجمالي السكان يقطن ٨٠٪ من الكروات في كرواتيا، و ٢٠٪ خارجها اغلبهم في جمهورية البوسنة والهرسك المسلمة، يبلغ مجموع غير الكروات في كرواتيا ٧٦٠ الف نسمة يشكلون نحو ١٥٪ من السكان، يمثل الصرب ١٢٪، و ١٪ من البوسنة والهرسك، و ٥٪ لكل من المجرين والسلوفينيين، و ٤٪ ايطاليين، و ٣٪ لكل من الالبان والقوقاز، و ٨٪ لاقليات اخرى من بينها الغجر. تذكر فيسنا شكاره ايضا ان بلجراد استغلت حوالي ٢٪ من الاقلية الصربية لاشعال الحرب في كرواتيا. تمثل هذه النسبة العسكرية واسرهم الذين شكلوا رأس الحربة للجهد الحربى الصربي في كرواتيا، بقية النسبة من الاقلية الصربية وتقدر بـ ١٠٪ تعيش في كرواتيا دون اية مشاكل.

تظهر الوثائق الكرواتية ان القرن العاشر شهد مملكة كرواتية متاخمة لصربيا وبلغاريا. في القرن الرابع عشر. اظهرت نفس الوثائق وجود كرواتيا وصربيا كيانين منفصلين تقع بينهما البوسنة، وتشير خرائط عام ١٨٤٨ الى وجود بلجراد من جهة وكرواتيا من جهة اخرى تفصل بينهما اجزاء من الدولة العثمانية، ثم بدت على الخريطة مملكة يوغسلافيا التي تضم الغريمين صربيا وكرواتيا. الصراع الدائر عجلت بتفجيره البريستريكا التي اطاحت حتى بمخترعها ميخائيل جورباتشوف، تجسدت ملامحه على نحو واضح وملحوس في بدايات عام ١٩٩٠، يرى المستولون الكروات ان الانتخابات الحرة في الجمهورية التي اطاحت بالحزب الشيوعي، فجرت غضبا حقيقيا لدى الحزب في صربيا تبلورت المواجهة بين نظام شمولي في بلجراد وآخر تعددي في زغرب. في مايو ١٩٩٠ مع ظهور الاحزاب عام ١٩٨٩، تمكن اقواها واكثرها شعبية حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي (هذب) من اكتساح الانتخابات البرلمانية، حصل على ٢٠٥ مقاعد من الاجمالي البالغ ٣٥٠ مقعدا.

دخل الاتحاد الديمقراطي في ائتلاف مع عدد من الاحزاب لتشكيل الحكومة، اهمها الشيوعي والاحرار والوطن.

يفتخر الكروات ان لديهم وزيرا من الاقلية الصربية هو جيفكويوزبازيتش. كما ان نائب رئيس الوزراء زرافكوتوماتس من الحزب الشيوعي رغم ان انتخابات مايو ١٩٩٠ وضعت نهاية فعلية للهيمنة الكاملة للحزب الشيوعي، الا انه حصل على نسبة جيدة من الاصوات انعكست على التشكيل الوزاري وتركيبية الائتلاف، الرؤية الكرواتية تذهب الى ان نفس الفترة شهدت توجهها صربيا قاده سلوبودان ميلوسوفيتش لتأسيس الدولة الكبرى في عكس الاتجاه السائد في القارة نحو «النظام الاوروبى الجديد» كما يسميه الكروات، لا يخفي هؤلاء طبيعة انتمائهم

● في يوغسلافيا (سابقا).

● رئيس جمهورية صربيا آنذاك

السياسى فى المرحلة الجديدة التى حسمت لصالح دولة الوحدة الاوروبية. ويبراهن الساسة الكروات على اهمية تنظيم علاقة خاصة بغربى اوروبا بشكل او بآخر. يرون انها المجال الحيوى لكرواتيا سياسيا واقتصاديا. وليس من قبيل المصادفة ارتفاع علم اوروبا الموحدة اللبنى اللون بنجماته الاثنى عشرة الى جوار علم كرواتيا فى كل انحاء زغرب. ويتولد لدى الزائر ايهاء قوى بان الكروات يتمنون لو كانت النجمة الثالثة عشرة من نصيبهم انهم ينتظرون من اوروبا الكثير لكن الاخيرة تقدر الامور بشكل مختلف فلكل حساباته ومصالحه.

بحار الدم

الشعور السائد فى الشارع الكرواتي - رغم ذلك - مليء بالمرارة تجاه اوروبا التى تركت بحار الدم سائلة فى خطوط المواجهة الممتدة مع الصرب . الاجابة المعتادة عن السؤال التقليدى «هل تعتقد ان اوروبا ستدخل جديا وان هناك نهاية وشيكة للحرب؟» .. «نأمل ذلك رغم فقدان الثقة فى اجمالى الموقف الاوروبى» هكذا يجيب رجل الشارع الذى يعيش اجواء الحرب منذ ١٩٩١. اجولة الرمل والدعامات الخشبية فى الفتحات الارضية للبنانيات، اوراق اللصق على الزجاج، اللون الازرق يغطى كشافات السيارات، الجنود المسلحون المجهزون باجهزة الاتصال اللاسلكي يجوبون الشوارع، المجندون يحملون امتعتهم العسكرية متجهين الى مواقع القتال، صفارات الانذار تدوى بين الحين والآخر حتى فى قلب زغرب، انتشار حمى ارتداء المعاطف العسكرية كاحداث صحيات الازياء الكرواتية، انتشار الباعة الجائلين الذين يعرضون البيريهات والشارات العسكرية، بعض المهجرين يقيمون فى فنادق العاصمة وتوزيع (كوبونات) الطعام يتم قبل كل وجبة، لا يبدو ان الشارع مل من طول الانتظار بقدر ما يراوده احساس بالمرارة من الوقوف وحيدا امام الجيش الصربي بامكانياته الضخمة.

فيراسكاتارييتيكو المتحدث باسم وزارة الاعلام الكرواتية تشرح الهجوم الذى شنه الطيران الصربي على مقر الرئيس فرانيسو توجمان فى السابع من اكتوبر . كان فى اجتماع مع القادة السياسيين على مأدبة عشاء وتحركوا الى قاعة الاجتماعات، مرت دقيقتان فقط وغار الطيران الصربي على القاعة المخصصة للطعام، اطلق صاروخين واسقط عدة قنابل، تؤكد سكاتارييتيكو ان معلومات الجيش الصربي كانت دقيقة للغاية وجاء فارق الدقيقتين قدرا، لينجو الرئيس من الموت . الصرب من جهتهم نفوا الاتهام قائلين ان الكروات دبوا الهجوم، ليكسبوا تعاطف العالم مؤكدين عدم تورطهم فى هذا الهجوم. كانت اعمال الترميم على قدم وساق دون ان تخفي بعض الاثار الباقية من الغارة فى شارع اوباتيكا الذى يضم مقر الرئاسة والعديد من المباني الاثرية، تم ترميم واصلاح معظم الاضرار، لكن تودجمان انتقل منذ الحادث الى فيلا زغربيا المقر السابق للرئيس تيتو الذى كان ينزل فيه اثناء اقامته فى كرواتيا مسقط رأسه. يصف احد العسكريين المقر البديل بانه هدف مثالى للطيران المعادي. وتقع فيلا زغربيا فى اطراف زغرب على مرتفع عال لا يمنعها من الهجوم الجوى سوى سوء الاحوال الجوية.

الاقامة فى فنادق زغرب تعنى الاختلاط بالمهجرين وسماع صفارات الانذار. وسواء كان الزائر فى فندقه او فى الشارع فلا حديث الا عن السياسة والحرب وآخر التطورات والتحليلات، لا احد يعتقد فى حل عاجل او سحري، انهم مستعدون للازمة لوقت طويل رغم بعض الازمات فى سلع بعينها،

شاهد على مأساة البوسنة

خاصة الصابون ومواد التجميل، فالوقت أو الوضع عموماً لا يفرض اهتماماً خاصاً بالتجميل، ومع ذلك لا تنسى حواء في كرواتيا الساحيق والمستحضرات، المحال تشهد حركة رواج وزحام أمام واجهات العرض وحركة تراجع في عدد الزبائن بعض السلع ارتفعت أسعارها إلى عشرة أمثال الملابس على سبيل المثال ترتفع أسعارها شهرياً حوالي ٢٥٪، المرتبات ثابتة لا تتحرك تقريباً بمتوسط شهري مقداره ١٠ آلاف دينار. الدولار يساوي نحو ٨٠ ديناراً كرواتياً (العملة الجديدة)، فيما يساوي حوالي ٦٠ ديناراً يوغسلافياً أو صربياً ● على الزائر أن يتخلص من أي من العملاتين إذا أتجه إلى الجمهورية الأخرى لأنها ممنوعة من الصرف بامر الحرب، زغرب المدينة السياحية تتنفس عبق التاريخ وبارود القنابل سواء بسواء لا يفصل بينهما إلا أمل في انتهاء الحرب بأسرع وقت لتأتي الانتخابات الرئاسية الجديدة، وتتبع الحركة السياحية مرة أخرى خاصة على يد الألمان، أكثر العملات الأجنبية رواجاً هي المارك وأكثر اللغات الأجنبية انتشاراً، الألمانية.

أخلص الحلفاء الأجانب المانيا من أجل السياحة والآثار والقيم العليا والمثل النبيلة وأيضاً من أجل عيون بحر الأدرياتيك بسواحلها التي تسيل لعاب المانيا، العملاق الاقتصادي الألماني يتشاءم بعد طول ثبات، بعد إعادة وحدة الشطرين وإنهيار السور البرليني الخارج على قانون التاريخ، العملاق الاقتصادي الألماني يرمى بعينيهِ إلى خط الأفق حيث السياسة والدفاع أيضاً، فلا يكفي ميناء هامبورج، يطمح أن يمتد إلى خارج الحدود وربما داخلها - من يدري؟ - ليستنشق النسيم العليل القادم من مياه بحر الأدرياتيك. مواطن كرواتي يعلق بقوله «نعرف أن الدعم الألماني لموقفنا يعبر عن مصالح واطماع، ونعرف أيضاً أننا قادرون على تبادل المصالح معهم دون أن نتعرض سيادتنا للخطر». وماذا عن موقف فرنسا وإنجلترا؟ يستطرد قائلاً: «موقف متردد نأسف له، نتمنى من الدولتين التصل بالشجاعة والتحرك لنجدتنا». يستأذن المواطن كي يبحث عن ملجأ بعد أن أطلقت صفارات الإنذار وخلت المدينة التائهة وسط ظلام دامس من المارة وحركة السيارات.

بعيداً عن زغرب وعلى بعد حوالي ٤٠ كيلومتراً تقع مدينة كارلوفاتس إحدى الساحات الساخنة في الجبهة، يتولى الدفاع عنها خطان قتاليان الأول منضبط من الجيش النظامي الذي كان جزءاً من الجيش الاتحادى. مسلح بأسلحة دفاعية تكفل له الحفاظ على مواقعه. الصف الثاني من المتطوعين والاحتياط، التسليح الاساسى لديه الكلاشينكوف وبعض العربات المدرعة الخفيفة فضلاً عن القنابل اليدوية، مدينة مهجورة تكاد تكون مسكونة بالأشباح، بلا ماء أو كهرباء أو غاز أو تليفون. برد قارس بلا تدفئة، بيوت مهدمة ومحرقة ومهجورة قرب الجبهة تقع معظمها عند خط الدفاع الثاني على بعد خمسمائة متر من الخط الأول وكيلومتر واحد من مواقع الجيش الصربي. المقاتلون المتطوعون يتسمون بطباع الهواة، يمكن أن يستأذن أحدهم من الخدمة مؤقتاً ليحتسي قدحاً من الشاي الذي يسمونه تقريباً بنفس تسمية العربية أو التركية «تشاي». النفس التركي أو الأثر العثماني في الواقع اليوغسلافي واضح للعيان ففي كرواتيا «تشاي» وفي صربيا لابد من احتساء القهوة التركي في الصباح وأحياناً بدون سكر، أما الشاي المحلى فاسمه أيضاً عربى أو تركى «نعنع».

صوت المدافع

عودة الى كارلوفاتس التي تعتاد صوت المدافع والصواريخ ارض - ارض وصياح الدجاج المنطلق من حظائر الفلاحين بلا صاحب. احد الشباب الكرواتى المطلع بشكل طيب على مشاكلنا في العالم العربى يقول: «نحن واياكم نواجه استعمارا» يعتقد ان الامل او الحل امريكى الملامح. «لكن سيروس قانس وزير الخارجية الامريكى السابق يأتى الى يوغسلافيا ممثلا للامم المتحدة؟» يجيب بابتسامة خفيفة «ماذا؟! الامم المتحدة مجرد واجهة تعرض فقط ما تطلبه او تقدمه واشنطن لا امل في اوروبا فالحل الامريكى قادم في الطريق». في الجبهة يعتاد الزائر القصف وهدير المدافع وطلقات الآلي، لكن ظهور الطيران امر غير مرغوب فيه بالتأكيد، هكذا استمتعت بفواصل اخرجنى من حالة الحيرة التي انتابتني وانا اتابع هذه الحرب، رفيقى الصحفى الاسبانى القادم من اقليم كاتالونيا الذى يعرف ايضا نزعة انفصالية عن الوطن الام، شخصية مرحة محبة لا يمل الانسان صحبته. تحدث عن اهمية التطير بطريقة «امسك الخشب». بدا طوال الرحلة مازحا وحسبته كذلك، لكن الواقع يؤكد انه يؤمن ايمانا حقيقيا بضرورة ان يمسك اى نوع من انواع الخشب حتى ولو كان عود ثقاب، حين اقترب صوت الهليكوبتر المصحوب بانغام المدافع ظهر وجهه كما لو كان يريد الهروب حتى من عنقه، اختفت احدى درجات لون وجهه، سألت الجندي الكرواتى اى نوع من الطائرات يعلونا فاجاب بانه كرواتى، استبدل الصديق ريتشارد ملامح الهلع بابتسامته المحبة مرة اخرى.

عند العودة في محطة قطارات المدينة، دقت صفارات الانذار، نزل الجميع الى الملجأ مرت الخامسة وسبع عشرة دقيقة موعد وصول القطار المتجه الى زغرب والجميع اسفل مبنى المحطة ساعتان وثلاث عشرة دقيقة مرت، ثم نزل موظف المحطة طالبا من الجميع الصعود، فقد اوشك القطار على الوصول بعد زوال الخطر. في الملجأ شاهدت ريتشارد ممسكا بعود الثقاب اياة الامر - اذن - لم يكن مزاحا بل ربما عادة اسبانية اصيلة. اعلى رصيف المحطة المشهد مهيب ظلام مخيم تحطمه فقط الاشارات الحمراء الضوئية للسكك الحديدية التي تنتشر على امتداد النظر في الاتجاهين. اكيد... يجب الا يتمنى الانسان الحرب، لكنها اذا كانت قدرا، يجب الذويان فيها واداء حقها. يودع الجميع كارلوفاتس وراء ظهورهم ويحطون الرجال مرة اخرى في زغرب حيث المدينة اقرب الى المدينة المتعارف عليها، حركة وبعض الصخب الممزوج احيانا بصفارات الانذار.

ريتشارد بالتجربة والهليكوبتر ليس قلب الاسد، غير ان لديه الشجاعة الكافية ليفسر موقف اسبانيا المتردد من الاعتراف بدولة كرواتيا أنداك. يقول ان مدريد يحكمها عاملان:

١ - مشكلة اقلية الباسك والكاتالان لديها، فلا تريد ان تمنح اقلية اعتراف حتى لو كانت في يوغسلافيا، كي لا تشجع الانفصاليين الاسبان على التماذى.

٢ - التأثير الكبير للحكم الاشتراكى الفرنسى على الحكم الاشتراكى الاسبانى في قضايا السياسة الخارجية، لذلك ينعكس تردد باريس على موقف مدريد ترددا وتحفظا.

السياسة الكروات يرون في السياسة المخرج الوحيد للزمة. يشيرون الى انه ليس لهم قبل بالقوة العسكرية للجيش الاتحادى او الصربى الذى يعد الرابع في اوروبا. على حدودهم ٢٠٠٠ دبابة

شاهد على مأساة البوسنة

حديثة، و ٢٠٠ طائرة. الدمار الذي لحق ببلدهم على أيدي الجيش الاتحادي، لم يحدث مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية. عن تلقى السلاح من المجر والمانيا وغيرهما يقولون.. «نحرم حالة حرب نسعى لاستيراد السلاح بأي وسيلة ومن أي طرف للدفاع عن سيادتنا، لا أحد يملك يمنعنا من التصرف للحصول على السلاح». ليس لديهم طيران وهو عامل حاسم في أي معر الهدف السياسي للعمليات العسكرية الكرواتية دفاعي، للحفاظ على الأرض. الهدف الص هجومي، لاحتلال الأرض. هكذا يقول الكروات.

وماذا بعد الحرب؟ قبل الإجابة على السؤال - يقول السياسة الكروات - لابد من شرح اهداء وهي ثلاثة:

١ - تحطيم الجيش الكرواتي.

٢ - هدم المنشآت الاقتصادية

٣ - كسر اضلاع المدن

يستخلصون من ذلك ان الصرب ربما يدركون ان ما اخذوه من الاراضي الكرواتية سيضطرون للتخلي عنه مستقبلا. كما انهم يريدون ازالة الرموز الكرواتية و إخفاء الشخص الوطنية من الوجود. يبدو المستقبل مشرقا سياسيا بإجراء انتخابات رئاسية ومواصلة تنذ العملية الديمقراطية التي عطلتها الحرب اقتصاديا يصعب تصور تعويض ما تهدم على الا القريب، سياحيا هناك آمال كثيرة في جذب السياح وتوفير مصادر للعملة الصعبة، خاصة كرواتيا كانت تحقق حوالي ٧٠٪ من الدخل السياحي اليوغسلافي. بشريا وقع ١٠ آلاف قتيل و زادوا عن ذلك نظرا لعدم توافر احصائيات دقيقة. يمكن ان تتواصل بلا انقطاع اوجه التع الاقتصادي الكرواتي - الصربي. اما البشر.. الناس.. اهالي الضحايا فيصعب ان ينسوا بحر ال الذي سال بين اخوة الامس، يكفي ان مدينة مثل فوركوكفا تهدمت باكملها وتعرض اهلها للتش والموت. يكفي ان الكروات يسعون لحياء تاريخ قديم. يكفي ان الصرب يسعون لتكريس تاء. قديم. وبين هذا وذاك تشتعل حرب تهدف الى اعادة تشكيل يوغسلافيا في ظل النظام الاور الجديد.

السكة الذهبية

تقول طرفة يوغوسلافية ان الرؤساء الثلاثة لجمهوريات صربيا وكرواتيا والبوسنة والهر خرجوا في رحلة لصيد الاسماك في احد الانهار. تمكن احدهم من اصطياد السمكة الذهب الاسطورية المعروفة بقدرتها على تحقيق الاماني مقابل اعادتها للنهر مرة اخرى. سألت السم الرئيس الصربي عن امنيته، فطلب منها القضاء على اخر كرواتى في يوغوسلافيا وسألت الرئيس الكرواتى، فتمنى التخلص من اخر صربي في يوغوسلافيا. ولما ج الدور على الرئيس البوسنى قال لها: «اذا تمكنت من تحقيق تلك الامنيتين لن احتاج سوى ق من القهوة».

هذه الطرفة الشائعة تعكس صعوبة وحساسية موقف جمهورية البوسنة والهرسك المسا بمواجهة جمهورية صربيا الارثوذكسية، وكرواتيا الكاثوليكية. فقد بقي المسلمون زمنا طو

محشورين بين الواقع السياسى والجغرافى للغريمين التقليديين صربيا وكرواتيا وتشهد البوسنة حاليا فترة حرجة في تاريخها الحديث تقف بها على اعتاب الاعتراف الدولى بالاستقلال.

اجواء يناير ١٩٩٢ ابرزت على نحو واضح ان المجموعة الاوروبية تتناول مسألة الاعتراف باستقلال البوسنة والهرسك بالكثير من الشك والقليل من الثقة وفيما يلاحظ اندفاعا من اطراف غربية عديدة للاعتراف بالجمهوريات اليوغوسلافية المستقلة، خاصة كرواتيا وسلوفينيا. تأخذ القضية بعدا مختلفا في حال التعامل مع البوسنة والهرسك. ويظل القاسم المشترك وراء الشك الغربى وهو مخاوف قيام جمهورية اسلامية بوسنوية. يسوق الغربيون تبريرات تعطى هذا القلق وجهته واهمها تلك التركيبية الطائفية والعرقية للجمهورية التى تضم ٥٠٪ من ابناء المسلمين الذين اختلطوا بالفاتحين العثمانيين. ولا يتمتع المسلمون في ظل هذا الوضع بأغلبية مطلقة تعطى قرارهم اولوية آلية. التبرير الثانى هو الموقع الجغرافى للبوسنة واهميتها اوروبيا، فضلا عن الواقع التاريخى الذى افرز السبب المعلن للحرب العالمية الاولى عندما تم اغتيال الامير النمساوى فرديناند وزوجته ايزابيلا في العاصمة سراييفو.

الشاعر البوسنوى لديه قناعاته المختلفة التى تحتفظ بمسافة كبيرة تفصله عن المعلن الغربى. هذه القناعة تلتقى في الوقت نفسه مع ما يتردد بالفعل في الدوائر الغربية الحاكمة فبزوغ نجم التوجه الاسلامى بشكل واضح وصريح وتعبير ابناء الجمهورية عن رغبتهم في اعطاء الاسلام مساحة اوسع في واقعهم يلقيان الضوء الاحمر من العواصم الغربية الساعية الى تأسيس نظام اوروبى جديد له ملامحه العقائدية غير القابلة للاغفال. الرئيس البوسنوى على عزت بيجوفيتش يؤكد من جهته ان الجمهورية الباحثة عن الاعتراف الاوروبى - على وجه التحديد - تعتبر جمهورية للمسلمين وليست جمهورية اسلامية، كما انها جمهورية مواطنين وليست اعرافا وطوائف ويدرك الرجل الخارج من غياهب السجون الخصوصية الشديدة لواقع بلاده والعيون الكثيرة المحلقة والمتابعة لكل سنتيمتر مربع في البوسنة والهرسك.

رجل الشارع.. المواطن المسلم الذى يشكل باجماليه البالغ مليونى نسمة نصف سكان الجمهورية لاتغادر مخيلته ايام مجيدة في تاريخ البوسنة والهرسك صنعها التواجد العثمانى وتذكر انقرة مدى النفوذ والتأثير المعنوى لها في البوسنة والهرسك، كما في بلغاريا حيث الاقلية التركية الضخمة، وكما في اغلب الجمهوريات المسلمة وسط اسيا او جنوب الاتحاد السوفيتى سابق، انقرة المتلفة بالعباءة العلمانية تتمتع برصيد هائل وموفور داخل خزانة التاريخ العثمانى الاسلامى. لذلك انطلق منها تصريح ذو طابع دعائى مخض جاء فيه ان تركيا ستقوم بتحطيم بلجراد مقابل تحطيم اى شارع في سراييفو. العاطفة الاسلامية تضرب بجذور عميقة في التربة البوسنية. تقول الاشعار الشعبية:

● الاحصائيات الرسمية المعلنة تظهر ان نسبة المسلمين ٤٣,٨٪ فقط والصرب ٣١,٥٪ والكروات ١٧,٣٪ واجمالى عدد السكان ٤,٣ ملايين نسمة.

البوسنة ارض الدماء
 سأحافظ عليك كعيني
 انا ابنك
 هناك حيث نهر اونا
 هناك حيث نهر الدريفا
 والسماء الزرقاء
 هناك حيث نهر المرينا
 تنام الشمس
 هناك حيث ينابيع الساوا
 اذا جاء الاعداء
 سينتظروهم الشهيد المضرج في دمانه
 سيهب من قبره
 ليقاومهم من جديد
 المساجد ومزار الشهداء.

مقابر الشهداء او «مزار شهيد» كما يطلق عليه البوسنيون نجوم تتلألأ في باطن ارض الجمهورية فهي تضم الشهداء العثمانيين والبوسنيين الذين خاضوا معارك اسلامية الى جانب العثمانيين بعد ان اهدتوا للاسلام وتعد منظرا شائعا في المدينة تتواجد عادة في الحدائق المجاورة للجوامع. وهم يطلقون في البوسنة تسمية الجامع الا في حالة وجود مثذنة، والا اطلق عليه تسمية المسجد. في سرايفو وحدها ٨٠ مسجدا وكان عددها في السابق ١٥٠ مسجدا لكن تسامح الشيوعيين ونزاهتهم ذهبت بسبعين مسجدا. في كامل انحاء الجمهورية يوجد ٢٠٠ جامع غير المساجد المنتشرة بالمدن والقرى بالسهول والجبال في الثلج وتحت الشمس. يضاف الى ذلك المدارس القرآنية التي تقدر بالمئات. من مأسى اهل الحكم الشيوعي في البوسنة والهرسك انهم حولوا بعض مقابر الشهداء الى دورات للمياه. بعد الانتخابات الحرة التي جرت عام ١٩٩٠ وجاءت بحزب العمل الديمقراطي للحكم نسفت هذه الدورات وبقيت مقابر الشهداء تعانق اشعة الشمس صيفا وترقد تحت الثلج في بيات طويل يصنعه شتاء قارس وتعانقها عيون المستضعفين المسلوبين من بين صفحات التاريخ الناصع البياض. لم يكن غريبا على الشيوعيين تحويل «مزارات شهداء» الى مراحيض، ولم يكن غريبا ان يسرقوا المقتنيات والتحف الثمينة من مقر رئاسة الجمهورية قبل ان يغادروا على اسنة اصوات الناخبين التي جاءت بعلى عزت بيجوفيتش، رئيسا لاحدى اجمل وابهى الدول الاوروبية.

صورة ناصعة

في عيون ابناء الجمهورية.. توجد صورة ناصعة عنا نحن العرب. وجود انسان عربى وسطهم يعنى وجود احد احفاد الصحابة رضوان الله عليهم.. وجود سلالة علمت الدنيا ونشرت النور في ربوعها. عربى في البوسنة يعنى ذكريات صدر الاسلام العطرة. الايمان الحقيقى.. الاخوة.. الشهادة.. فلسطين.. وايضا البوسنة ذاتها صدموا ويصدمون فينا كثيرا

صدمتهم في فلسطين ونصدمهم كل يوم تحت وقع انسحاب الاسلام من حياتنا.. تحت وقع الفرقة والبأس مع الاهل في الداخل والطف والتسامح مع الخارج. على المستوى الفردى الاجتماعى يتقدم عرب للزواج من بوسنويات. مشروع جيد يتحفظ وحيد، ان يبقى العربى في الوطن البوسنوى مع زوجته المسلمة ولا يغادرها لماذا؟ لان البوسنويين يعتبرون خروج ابنتهم امرا مستحيلا بل وتجىء الاجابة ناصعة كعيون الشمس من افواه البوسنويات: «لو هجرنا الوطن كيف تستمر وتبقى الذرية المسلمة؟!»

مليكه صالح زوجة على عزت بيجوفيتش رمز لنساء الجمهورية محبة دخلت السجن مرتين كما زوجها بعد خروجها من السجن للمرة الاولى اتجهت من فورها لاحد ميادين سرايفو وتظاهرت. كان ذلك عام ١٩٨١ حملت لافتة كتب عليها «سنحكم بلادنا بالشريعة الاسلامية». ذهبت للتظاهر في ساعات معدودة وعادت كذلك للسجن مرة ثانية في ساعات معدودة وقضت سنوات من عمرها داخل الزنازين وخرجت محمولة على يد ابنها. فقد فقدت ٢٥ كيلوجراما من وزنها قبل ان تنفى الى لندن. تشارك الان من داخل الوطن في توعية النساء بوسائل الدعوة العديدة.

البوسنة والهرسك تشهد هجرة للعمال الى الجمهوريات «اليوغسلافية» الاخرى او دول اجنبية بحثا عن مصدر محترم للدخل الذى لا يتجاوز متوسطه الشهرى ٢٨٠٠ دينار اى نحو ٤٥ دولارا. اما الاسعار فزادت بنسبة ٢٠٠٪ اى انها تضاعفت عشرين مرة ويراهن ابناءؤها على دفع عجلة التنمية لديهم امال ومشاريع كبيرة لتحقيق قفزات اقتصادية باستغلال موقعهم الجغرافى وخبراتهم المتقدمة في مجالات مختلفة. من بينها الانشاء والتعمير. والسياحة في الجمهورية العائدة

الى صفحات التاريخ مصدر مهم من مصادر الدخل. فقد ترك

العثمانيون وراءهم اثار آية في الروعة والجمال خاصة في مدينة سرايفو القديمة التى يشكل المسلمون نحو ٩٩٪ من سكانها وتحرسهم خمس بوابات عثمانية ويعد السوق القديم الشريان الاقتصادى. وهو بأكمله اثر عثمانى باق سياحيا واقتصاديا حتى اليوم فضلا عن المقاهى والحمامات والخلوات. ●



*سيفليت هورتيتش

سيفليت هورتيتش نموذج للشباب المسلم البوسنوى يدرس الطب البيطرى ويعمل صحفيا تحت التمرين في جريدة «صوت المسلم» الشهرية، لديه قناعة ان المسلمين عاثوا من الاضطهاد على يد الصرب وأن لهم ان يتسيدا قرارهم ويشقوا طريقهم

● تعرضت لدمار شديد على يد العدوان الصربى لاحقا.



* ماهر تشينيك

ويشبهوا عن الطوق اليوغوسلافي.

ماهر تشينيكو السكرتير التقني لحزب العمل الديمقراطي صاحب الاغلبية في التشكيل الوزاري صورة اخرى للشباب المسلم المقعم بالحيوية والامل والمتوج بالادب الجم الذي يفيض حياء. يتكلم الانجليزية التي يندر من يتكلمها في الجمهورية واللغة الالمانية كشأن اغلب الجمهوريات اليوغوسلافية الاكثر شيوعا في البوسنة والهرسك حيث يتكلمها عشرات الالاف من العاملين في المانيا سواء منهم من استمر هناك او عاد الى الوطن. سيفليت وماهر يعكسان توجهين في سرايفو باعطاء فرصة

للشباب للصعود والمشاركة في صنع القرار واعطائه فرصة التجربة واكتساب الخبرات اللازمة لا يغيب عن وعي القيادة السياسية حقيقة تواجد الصرب والكروات في الجمهورية بما يمثل نصف السكان. وتظل المعادلة صعبة سيدة الموقف بحيث يمكن الحفاظ على الهوية المسلمة وضمان حقوق الاقليات بالشكل الذي لا يستفز الغرب، والحقبة الحالية حقبة خروج من تحت حكم شمولي ساد لاكثر من اربعين عاما نجح في اضعاف انقسامات حقيقية في البنية السياسية والاجتماعية ليوغوسلافيا ويعتبر الرئيس على عزت بيجوفيتش ان الحرية بجميع مساوئها هي الخيار الوحيد للبوسنة والهرسك. كتنقيض لديكتاتورية سادت ويرى ان «يوغوسلافيا الثالثة» على حد تعبيره ستري «تأثيرا اسلاميا قويا» ويذكر في اول مقابلة صحفية تمت بعد خروجه من السجن للمرة الثانية عام ١٩٨٩ ونشرتها صحيفة «دلو في لوبليان» بانه.. سيكون للشعب المسلم دور هام في تحقيق توازن جديد في البلاد واكد ان «الزمن سيؤكد صحة ما قلت» وقتها منذ اكثر من ثلاثة اعوام لم ترغب اي من الصحف في نشر اللقاء فيما عدا الصحيفة الكرواتية المذكورة. اضاف قائلا في هذه الجولة السريعة ان هناك محاولات تتميز بالاصرار على تحييد العنصر الاسلامي بشكل ما. غير ان الشعب المسلم «يعلم جيدا مايرفضه اكثر من علمه بما يريد» الصرب والكروات لديهما برنامجان احدهما ديمقراطي والاخر لدولة كبرى على حساب البوسنة والهرسك، دولة لا تخلو من الفاشية اما المسلمون «فليس امامهم خيار سوى الديمقراطية»

اشاعات واقاويل

اشاعات واقاويل حول خلاف بين رئاسة المسلمين في عموم يوغوسلافيا وبين القيادة السياسية للمسلمين في البوسنة والهرسك الممتلة في حزب «العمل الديمقراطي» و«منظمة مسلمي البوسنة» تستند الاشاعات الى عدم وجود برنامج لدى الحزبين يتضمن استراتيجية لمصالح المسلمين في كل الجمهوريات اليوغوسلافية. ويرد على عزت بأن قوة المسلمين في البوسنة والهرسك بمثابة قوة لكل المسلمين في الجمهوريات الاخرى. يعتبر الواقع الاسلامي البوسني «ضمانة لمصالح المسلمين خارج البوسنة والهرسك». يتضمن برنامج حزب العمل الديمقراطي هذا الاتجاه وهو برنامج يلقي تأييدا من اغلبية الشعب المسلم في جمهوريات يوغوسلافيا. يؤمن على عزت بيجوفيتش كثيرا في صيغة اتحادية بديلة.. ويقول «تفكك يوغوسلافيا الى ست دويلات ليس حلا بالتاكيد خاصة

بالنسبة للبوسنة والهرسك متعددة القوميات وذات الموقع الجغرافي الحساس ونحن نقبل الحل الذي يوافق عليه الصرب والكروات معا ويضمن سيادة البوسنة والهرسك» • ويدين الرئيسين الصربي والكرواتي ميلوسفيتش وتوجمان في وقت واحد بقوله «الموقف الراهن السخيف هو نتيجة لسياسة التطرف القومي للرئيسين الصربي والكرواتي انتقاده ايضا ينصب على تحويل صربيا وكرواتيا الى جمهوريتين عرقيتين مؤكدا على ضرورة بقاء البوسنة والهرسك جمهورية للمواطنين المنتمين لاعراق مختلفة. عن الديمقراطية يشير بقوله «اذا كانت هناك ديمقراطية في يوغسلافيا فهي في البوسنة والهرسك، حيث لا توجد رقابة على الصحف او الاذاعة او التلفزيون ولم نعاقب الحكام السابقين. ولم ننصب المحاكم ولا يوجد عندنا سجناء سياسيون ولدينا مشاركة في السلطة، والمناصب السياسية العليا موزعة بين المسلمين والصرب والكروات»

رئيس «الحزب الديمقراطي الصربي» في البوسنة والهرسك اتخذ من كتاب الاعلان او البيان الاسلامي الذي كتبه على عزت في بداية السبعينات دليلا على رغبة الاخير وحزبه «العمل الديمقراطي» في اقامة دولة اسلامية في البوسنة والهرسك. الرئيس البوسنوي يرد بقوله ان كاراجيتش لم يقرأ البيان على ما يبدو. انه يعبر عن رأيه في العالم الاسلامي اليوم. كاراجيتش يسعى لاستقطاب الصرب وتكثيف النزعة القومية بأثارة مخاوفهم عبر اتهامات لا تستند للواقع.

في كل الاحوال استطاع الآخرون بمهارة فائقة توظيف قضية الدولة الاسلامية لابتزاز امانى مسلمي البوسنة والهرسك، وحصارها بعيدا عن امكانية التحقيق. لكن الواقع يشهد ايضا بحكمة دبلوماسية وتجربة تاريخية يتحلى بها القادة المسلمون في مواجهة الهجوم الصاعد في سماء البوسنة والهرسك وكذلك العالم الثالث.

مستشار الرئيس

الاطلاع على المواقف الثلاثة مواقف صربيا وكرواتيا ومعهما البوسنة والهرسك، امر لا مفر منه امام اي مراقب يحاول البحث عن تفاصيل الازمة والرؤية الشاملة التي تحيط بها. من هنا تمثل آراء القيادة في الجمهوريات الثلاث اهمية خاصة لفهم الازمة بطريقة اعمق تفسر التفاوت الشديد في مواقف الاطراف المعنية. لم يكن الامر سهلا للحصول على موعد لاجراء المقابلات خاصة في بلجراد. تملكني احساس بان الصرب الذين يعيشون اعياد ميلاد متخنة بالجراح ومعاناة الحرب، لا يرغبون كثير في التعامل مع الاعلام الاجنبي. لم يكن هناك سوى تفسير واحد يبرره ضعف موقفهم وشعورهم بالعزلة الدولية دبلوماسيا واعلاميا مما دفعهم الى حالة من الانكفاء على الذات كشكل من اشكال الرد على العالم الخارجي. ظلت حتى الساعات الاخيرة من زيارة يناير ١٩٩٢ في حيرة من امري. لم اتلق ردا ايجابيا على طلبي بمقابلة الرئيس سلوبودان ميلوسفيتش، ولم يكن امامي سوى ممارسة ضغط معنوي. اتصلت بهم واخبرتهم انني اجريت مقابلتين مع رئيسي البوسنة والهرسك وكرواتيا، فتحركوا على عجل وحددوا لي موعدا مع

• كان ذلك قبل العدوان الصربي على البوسنة والهرسك

شاهد على مأساة اليوسنة

تستليكو سيميتش مستشار الرئيس الصربي. وهكذا انثرت جهودى باستكمال الحلقة الثالثة للقاءات الرئاسية.

سيميتش البالغ من العمر ٣١ عاما، حاصل على ماجستير في الفلسفة وعلم الاجتماع. له ثلاثة كتب، الاول «الثقافة والايديولوجية» الثاني «تحديات الصدمات» والثالث ادبي تحت الطبع. يمثل جيل شباب الدبلوماسيين الصرب. يتكلم الانجليزية والفرنسية، ويرأس تحرير مجلة «ريفيو». التقيت به بعد ان اتممت مقابلي لرئيسي اليوسنة والهرسك وكرواتيا لكني أؤثر - هنا - ان اقدمه عليهما نظرا لان جمهورية صربيا تمثل مفتاح الازمة الساعي الى هدم قواعد البيت الجديد القائم على انقاض الاتحاد اليوغسلافي. سألته عن تقييمه لمرحلة ما بعد الخامس عشر من يناير من عام ١٩٩٢ موعدا اعتراف المجموعة الاوروبية بالجمهورية المستقلة عن بلجراد، فاجابني بقوله: «يصعب علي تحديد اي تصور مستقبلي ليوغسلافيا لان هناك عوامل وعناصر كثيرة في الازمة تتغير من يوم لآخر مما يصعب معه استنتاج رؤية محددة وثابتة، اعتقد اننا نعيش اياما عصيبة جدا نحتاج معها الى مساعدة دولية للتغلب على الازمة التي بدأت منذ شهور طويلة والتي يجب وضع حد لها. يدرك صانعو القرار ان الازمة اليوغسلافية ليست محلية بقدر ما هي ازمة اوروبية، ويرى الجميع ان الحرب الاهلية في يوغسلافيا - اذا جاز تعبير الحرب الاهلية - تشكل خطورة حقيقية لاروبا.

واذا اردنا توضيح الامر اكثر من ذلك نقول ان الموقف في يوغسلافيا وموقف بعض الدول من الازمة سيقود الى تفجير اوروبا من الداخل، فنحن هنا في يوغسلافيا نعتبر اوروبا مصغرة، الكثير من الدول الأوروبية لديها مشاكل اقلية مثل الايرلنديين في بريطانيا والباسك في اسبانيا والكورسيكيين في فرنسا.

● قد يفسر ذلك عدم اعتراف الدول الثلاث حتى الآن باستقلال الجمهوريات الاخرى داخل يوغسلافيا؟

● ليس فقط لحماية الوضع الداخلي في هذه الدول، ولكن ايضا لحماية النظام والقانون الدولي، الاسرة الأوروبية معنية جدا بالقانون الدولي استنادا الى اتفاقية هلسنكي ومعاهدة باريس.. في رأيي الاعتبار الاهم داخل الاسرة الأوروبية هو احترام المواثيق الدولية المعنية بالواقع الأوروبي، ونحن في يوغسلافيا نعتبر الخروج على وثيقتي هلسنكي وباريس من قبل بعض الدول الأوروبية مثل المانيا انتهاكا للقانون الدولي.

● وحق كرواتيا في الاستقلال

● لم تكن يوما في جمهورية صربيا ضد استقلال كرواتيا، لذلك اطرح سؤالاً مهماً: لماذا لم تحدث مجابهة عسكرية حقيقية بين صربيا وسلوفينيا بعد اعلانها الاستقلال ١٩ اندلاع القتال بين الصرب والكروات يرجع لموقف القيادة السياسية الكرواتية. لذلك اعلن الرئيس الصربي في عدة مناسبات اننا نوافق على احترام ارادة الشعبين السلوفيني والكرواتي في حق تقرير المصير وحتى الانفصال. لكننا واتساقا مع نفس الاتجاه الثابت لدى القيادة الصربية نقول ايضا لماذا لا يتمتع السكان الذين يعيشون داخل الحدود الجغرافية لكرواتيا وداخل الحدود السياسية لجمهورية يوغسلافيا التي تتمتع بالشرعية الدولية.. لماذا لا يتمتع هؤلاء الصرب بحق تقرير المصير

واحترام رغبتهم في البقاء داخل يوغسلافيا. هؤلاء مواطنون لديهم نفس حقوق الكروات، بل ان حقوقهم ذات افضلية باعتبار انهم يفضلون البقاء.

● وهذا ما يحدث بالفعل من قبل الصرب في كرواتيا؟

● نعم.. فليس امام الصرب خيار آخر غير يوغسلافيا كدولة يعيشون في كنفها، الالبان - اليوغسلاف - على سبيل المثال - لديهم خيار آخر هو دولة البانيا التي ينتمون اليها عرقيا. الصرب الذين يعيشون داخل كرواتيا - من جهة اخرى - لا يمكن ان يتحولوا الى اقلية، كما ان الكروات الذين يعيشون في صربيا لا يمكن ان يتحولوا الى اقلية، فكلاهما سواء هنا او هناك يعيش داخل وطن اسمه يوغسلافيا. للأسف نتج عن الازمة لجوء مائتي الف صربي من كرواتيا الى صربيا.

● هل يستوي لديكم موقف جمهوريتي البوسنة والهرسك وكرواتيا؟

● ان ثلث سكان البوسنة والهرسك من الصرب. وهناك فارق بين موقف الحكومة وموقف الشعب، وحدود الجمهوريات ترجع للشعوب نفسها وليس لبعض افراد، اثناء حكم تيتو بصلاحياته المطلقة تبدت مظاهر كرمه وسماحته. انعكست هوية حب الرسم عنده على صربيا اليوم فورثت خريطة يوغسلافيا الحديثة التي رسم حدودها الداخلية الرئيس السابق، كانت افضل رسوماته. على الشعوب ان تقرر وسط هذه الازمة مصير الحدود، وليس الحكومات.

● هل يعني ذلك انكم تضعون الموقف البوسنوي والكرواتي في سلة واحدة؟

● هناك علاقات قوية جدا بين الكروات والزعماء المسلمين في البوسنة والهرسك بخصوص بعض المشاكل، لقد انتهك الاثنان الدستور اليوغسلافي، الرئيس البوسنوي، علي عزت بيجوفيتش انتهك الدستور باعلان البوسنة والهرسك جمهورية مستقلة، رغم ان السكان الصرب يرفضون الانفصال.

● هناك مادة في الدستور تعطي لأي جمهورية حق الاستقلال؟

● بالطبع.. هناك مادة تعطي الجمهوريات حق تقرير المصير والانفصال.

● المادة اشترطت الحوار؟

● الحوار والتوصل الى حل من خلال قواعد قانونية محددة، ورفض اللجوء الى القوة لتحقيق الانفصال.

● الكروات يرفضون بشكل قاطع الصيغة الفيدرالية والكونفدرالية، بينما البوسنة والهرسك تؤيد الكونفدرالية؟

● هناك فارق بين الجمهوريتين.

● هل تقبلون بالكونفدرالية بديلا عن صيغة الفيدرالية التي اندلعت في ظلها الازمة؟

● علينا البحث اولا عن الظروف والشروط التي تمهد لبحث مستقبل يوغسلافيا، كرواتيا ترفض الصيغة اليوغسلافية. وقعت ١٤ اتفاقا لوقف اطلاق النار ولم تحترمها.

● لماذا؟

● تريد حالة الحرب والابقاء عليها من اجل الاسراع بالاعتراف بها من قبل العالم.

- يقولون في كرواتيا ان انتهاك وقف اطلاق النار يأتي من الجانب الصربي؟
- ليس لديهم اي دليل يثبت ذلك الادعاء. بالعكس يهاجمون الجيش اليوغسلافي عن طريق قطع امدادات الكهرباء والماء عنه، حطموا حتى الآن سبعة جسور تربط الجانبين ببعضهما.
- انتم متهمون في بلجراد باستغلال الاقلية الصربية في كرواتيا لاشعال الحرب هناك؟
- اخبرك بوضوح، انهم يسعون لاعادة حلمهم التاريخي القديم الرامي الى تأسيس دولة كرواتيا، من جانبنا ليس لدينا نفس الحلم لان هناك دولة قائمة اسمها يوغسلافيا.
- وما يتردد عن احتمالات قيام علاقات مميزة بين كرواتيا من جانب والمجر والنمسا والمانيا - على نحو خاص - من جهة اخرى؟
- هذه الاحتمالات تترجم الى واقع الآن. من يدعم كرواتيا عسكريا وماليا؟ انها المانيا، وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني ذهب الى بودابست منذ حوالي شهر، نعتقد انه حذر المجريين من انتهاك المجال الجوي اليوغسلافي، الطائرات المجرية - بالفعل - قامت بطلعات في اجوائنا، اطلقت المدفعية النار من الاراضي المجرية على السكان الصرب، نحن لا نحاول استغلال الصرب في كرواتيا. الصرب هناك مواطنون كغيرهم مزارعون يعيشون في امان يحاولون الدفاع عن انفسهم ضد الميليشيات «الارهابية» الكرواتية، من المهم التأكيد على ان الجيش الذي يخوض معارك ضد كرواتيا هو الجيش اليوغسلافي وليس الصربي، ومن غير المقبول ان يتعرض اي جيش داخل بلده للعدوان ويقف غير مبال، غير مقبول قيام جيشين في بلد واحد، غير مقبول قيام الميليشيات الكرواتية بالتككيل بالصرب في كرواتيا، في كرواتيا - الآن - حزب سياسي مسلح بالكامل وهو ما لم يحدث في اوروبا منذ حوالي ستين عاما، منذ وقت المانيا النازية.
- ماذا تنتظرون من العرب؟
- ننتظر ونأمل ان يكونوا موضوعيين في تناولهم للالزمة اليوغسلافية ورؤيتها بشكل واسع وشامل استنادا الى خلفياتها وجذورها، نحن نتطلع الى هذا الموقف من الدول العربية التي تشاركنا حركة عدم الانحياز.
- لدي رغبة حقيقية في زيارة يوغسلافيا ربما العام القادم، هل تعتقدون في بلجراد ان يوغسلافيا ستظل قائمة عام ١٩٩٣؟
- لا ادعي التنبؤ، لكن اقول انك لن تجد نفس يوغسلافيا التي اعتادها العالم، يصعب علي جدا ان اقول ذلك، سنبدل كل جهدنا لنحمي الشعب الصربي، ولن نسمح بالاعتداء على الصرب في اي مكان.
- كثر الحديث عن اهداف المانية في بحر الادرياتيک الذي يعد منفذا بحريا هاما لبون؟
- بحر الادرياتيک ممر بحري استراتيجي ويعد هدفا للسياسة الالمانية للخروج عبر الحدود الى المياه الدافئة والتفوق على الجيران في الاسرة الاوروبية، اننا مقبلون على فترة او عصر مليء بالمشاكل بسبب نزوع المانيا الى قيادة اوروبا.
- وفرنسا

●● من جانبها يجب ان تجعل ذلك امرا مستحيلا على المانيا، اذا لم يتم احترام وثيقتي هلسنكي وباريس بمواجهة الازمة اليوغسلافية، فلن نكون بحاجة اليهما فيما بعد. اوروبا لم تنس بعد الاعتداء على القانون من قبل المانيا والنمسا والمجر، هذه خبرة تاريخية يجب ان تبقى في الذاكرة عبر ممارسة الامبراطورية النمساوية - المجرية، وكذلك موقف الكروات منها.



بيجوفيتش.. رمز

يتحول الرئيس علي عزت بيجوفيتش « مع مرور الوقت - الى رمز يلتف حوله شعب البوسنة والهرسك المسلم. تاريخ حافل يستند لاسس اخلاقية ثابتة جعلت منه معارضا للحكم الشيوعي وهو في قمة السلطة. من المفارقات الغريبة ان نفس الاسس الاخلاقية حالت بينه وبين افتعال معارك وهمية مع تيتو بعد رحيله، بينما دأب كل من القطبين الشيوعيين الصربي ميلوسيفيتش والكرواتي توجمان على مهاجمة الرئيس اليوغسلافي فقط بعد وفاته متناسين انهما كانا من قيادات الحكم الشيوعي؟

ولد رئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش عام ١٩٢٥. تخرج من المدرسة العليا بسرايفو. درس علم تحسين التربة في جامعة سرايفو. حصل على ليسانس الحقوق من نفس الجامعة. متزوج واب لثلاثة ابناء. قضى ثمانية اعوام من عمره في السجن، المرة الاولى كانت بين عامي ٤٦ و ٤٩. الثانية بين عامي ٨٣ و ١٩٨٩ بسبب تأليفه كتاب «الاعلان الاسلامي» الصادر عام ١٩٧٠. اي انه عوقب باثر رجعي بعد ثلاثة عشر عاما من ارتكاب الجريمة، اذا كان تأليف هذا الكتاب يعد بحق جريمة!! له مؤلفات اخرى هي «الاسلام بين الشرق والغرب» الذي ترجم الى الانجليزية والتركية والماليزية والهندية، وكتاب «مشاكل الاسلام العائد» و«وساطات في السجن» تحت الطبع. اسس الحزب الاسلامي عام ١٩٨٩ واطلق عليه «حزب العمل الديمقراطي» لتفادي العقوبات القانونية التي قد تمنع تأسيسه بسبب تسمية «الاسلامي».

داخل مكتبه المتواضع وبحضور ابنته التي تولت مهمة الترجمة الى الانجليزية. اسأله عن ردود العرب بخصوص طلب الاعتراف بعد اعلان الاستقلال، فيقول «لم نتلق اية اجابات من الدول العربية. فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية بداية، لان قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● هل تلقيتم ردودا ايجابية من الدول العربية بخصوص طلب الاعتراف؟

— لم نتلق اية اجابات من الدول العربية، فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية مبدئيا، لان قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● وواشنطن؟

●● لديها ورقة اخرى، اي وصول قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة، اجرينا اتصالات بهذا

شاهد على مأساة البوسنة

الشأن مع مبعوث الأمم المتحدة سايروس فانس. من الواضح أن الأمم المتحدة تقوم بجهدا من أجل تحقيق وتكريس إيقاف إطلاق النار وإرسال قوات الطوارئ. هناك - إذن - أولويتان مختلفتان، الأولى أوروبية متعلقة بالاعتراف، والثانية أمريكية دولية متعلقة بقوات الطوارئ أو حفظ السلام.

● ماذا عن الدور العربي؟

● إذا تمكنا من حل الأزمة التي تعيشها جمهوريتنا وخرجنا منها بسلام، فإننا متفائل بمستقبلنا هنا في البوسنة والهرسك، في هذا التوقيت سيقوم العالم العربي بدوره نحونا.. الدور الذي نامله ونتمناه من أشقائنا.

● هذا الدور غير مطروح حاليا؟

● في الوقت الحالي علينا أن نرتب قضية السلام مع أوروبا والولايات المتحدة. أما مستقبلنا عامة والاقتصادي منه خاصة، فنحن نود أن يكون مع العالم العربي، اعتقد أن هذا هو الموقف انطلاقا من الواقع الملهم. نحتاج في كل الأحوال إلى تأييد الدول العربية في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن.

● إلى أي مدى يتشابه موقف البوسنة والهرسك في فترة الحرب العالمية الثانية، واليوم مع اندلاع الأزمة في كرواتيا؟

● هناك بعض علامات الشبه بين البوسنة والهرسك أمس واليوم، أي أثناء الحرب العالمية الثانية وخلال الصراع الدائر حاليا قبل كل شيء يجب التأكيد على فارق جوهري، ففي الحرب العالمية لم تكن هناك دولة البوسنة عكس اليوم، حيث الدولة قائمة وموجودة. دولة اليوم دولة مسلمة وهو ما يحدث لأول مرة في تاريخها، حقيقة كانت قائمة بعد الحرب العالمية الثانية - دولة مسلمة - غير أنها لم تكن كذلك في حقيقة الأمر تحت حكم الشيوعيين. تحولنا فعلا وواقعنا إلى دولة مسلمة بمعنى أنها دولة للمسلمين وليست دولة إسلامية.. دولة يعيش فيها السكان المسلمون الذين يتمتعون بحريتهم، الإسلام عندنا دين وكذلك قومية نحافظ عليها بمواجهة محاولات الاذابة والصهر في أية هوية مخالفة.

● منفذكم الوحيد على بحر الأدرياتيكي لا يمتد لأكثر من ٢٠ كيلومترا..

● ٢٦ كيلومترا.

● يظل أيضا غير كاف كميناء مما يؤثر على وضعكم الاقتصادي مستقبلا؟

● لا يوجد أحد في بقية جمهوريات يوغسلافيا يتمتع بموقف أفضل باستثناء كرواتيا التي تتمتع بسواحل طويلة على بحر الأدرياتيكي، يجب الاعتراف بأن ضالة المسافة التي نطل عليها عبر الأدرياتيكي تعد عاملا معوقا، لكن هناك دولا عديدة ليس لديها إمكانات أحسن منا، ألمانيا لديها ميناء واحد هو هامبورج، بولندا نفس الوضع لديها ميناء جدانسك فقط، نحن لدينا ميناء في هذه المساحة الصغيرة لا يزال تحت الانشاء ويمكن توسعته في مراحل تالية، من حسن الحظ أن موقع ميناء جمهورية البوسنة والهرسك بعد الأفضل على ساحل البحر الأدرياتيكي. الميناء صغير الحجم يمكنه استقبال السفن الصغيرة وتوسيعه مستقبلا مع اعتماد استثمارات جديدة له ويزيد

من اهميته موقعه الجغرافي الذي يعد الهم على ساحل الادرياتيک.

● الخبرة التاريخية للبوسنة والهرسک تشير الى امكانية الحفاظ على علاقات طيبة مع الشرق والغرب في آن واحد؟

● تاريخيا لدينا دائما علاقات مع الشرق والغرب. الموقع الجغرافي للبوسنة جعل منها معبرا بين الاثنين وحلقة وصل عبر التاريخ، البوسنة والهرسک جمهورية متعددة القوميات والاديان والثقافات.

● ديانات متعددة. ام دين اغلبية واديان اقلية؟

ـ في البوسنة ثلاثة ديانات: الاسلام والكاثوليكية والارثوذكسية، تتمتع ثلاثتها بموقف قانوني متساو، المسلمون يشكلون اغلبية، وهذه الاغلبية غير متسلطة.

● ما انعكاسات ذلك على الواقع السياسي؟

● تقسيم السلطة بين القوميات الثلاث، رئيس الجمهورية مسلم، رئيس البرلمان صربي ارثوذكسي، رئيس الوزراء كرواتي كاثوليكي.

● البوسنة نموذج للتعايش مطروح على الصعيد اليوغسلافي الداخلي؟

● البوسنة « يوغسلافيا » مصغرة.

● نموذج مؤسس على الفكر الذي ارساه الرئيس السابق تيتو؟

● لا.. لا، لا علاقة لتيتو بذلك، نحن لسنا على يقين من احتمالات بقاء يوغسلافيا كدولة، بالنسبة للبوسنة نعمل على اساس ايجاد شكل من الاتحاد لا علاقة له بالنمط اليوغسلافي « على طريقة تيتو، اتحاد يشمل الشعوب التي تعيش في الجغرافيا اليوغسلافية ـ اتحاد يجمع شعوبا ودولا مستقلة.

● شكل من اشكال الكونفدرالية؟

● نعم كونفدرالية، الصيغة الفيدرالية لا تصلح الآن خاصة بعد تفاعل الازمة واسقاط احتمالاتها نهائيا في كرواتيا وسلوفينيا، نسعى لايجاد علاقة بين دول مستقلة.

● تشابه الاتحاد السوفييتي سابقا واسرة الامم حاليا؟

● نعم.

● تاريخ مسلمي البوسنة والهرسک حافل بالمعاناة والالام، هل ترون نهاية قريبة لذلك التاريخ؟

● اتمنى ان نشهد نهاية لهذه الالام خلال النصف الاول من العام الحالي. نهاية تعني السلام وايقاف الحرب الدائرة بين الصرب والكروات. اما الحل السياسي او القرار السياسي فسيأخذ وقتا اطول من الستة شهور القادمة.

● وما يقال عن وضع قنابل في بعض المساجد في صربيا وكرواتيا؟

● هناك مبالغات واعتقد ان شائعات كثيرة تنتشر بهذا الصدد، لكن اذا اجبرنا على القتال او دفننا اليه دفعا، سنجد انفسنا مضطرين لحمل السلاح.

● والوضع العسكري في البوسنة والهرسك؟

●● تشهد البوسنة - حاليا - اكبر تجمع عسكري في اوروبا.. فقد تجمعت اكثر القوات الصربية فوق اراضيها بعد الانسحاب الذي تم من اراضي كرواتيا.. العدد ضخيم ليس لدينا رقم دقيق عنه سوى انه يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ ألف فرد بأسلحتهم وعتادهم.. وهم مجهزون بشكل جيد جدا فضلا عن وجود السلاح الجوي الصربي الى جانب القوات البرية.. اما قواتنا فتتمثل في الشرطة المحلية من الجنود النظاميين البالغ عددهم ١٠ آلاف فرد واحتياطي يبلغ حجمه ٣٠ ألف فرد مسلحين تسليحا خفيفا في مجموعهم.

● وسط الحرب المشتعلة، هل تعتقدون في البوسنة والهرسك بإمكانية تحقيق كل اهدافكم بالوسائل السلمية؟

●● من الصعب الحصول على كل شيء سلميا. لكن يجب علينا الحصول على حقوقنا بالسبل السلمية، لانها الطريقة الوحيدة واختيارنا الوحيد. من الخطر في البوسنة والهرسك تبني مخاطرة الحرب والتورط في قتال. مثل هذا القتال سيتحول الى معارك ضارية على ارضية دينية وعرقية. لن تصبح حربا اهلية، بل حربا دينية. المجازفة ياندلاع القتال في البوسنة والهرسك تعني اشتعال سيجارة في مكان مليء بالوقود. لذلك نختار السلام والصبر وسياسة النفس الطويل، ما لم نتعرض لهجوم يضطرنا للقتال. فنحن مستعدون للدفاع عن انفسنا.

● والخامس عشر من يناير؟..

●● يوم فاصل في تاريخنا، لقد تقدمنا فعلا بطلب الاعتراف بنا.. وهناك تقدم واضح - حتى وقتنا هذا - في الاتصالات التي نجريها من اجل الحصول على الاعتراف باستقلالنا من قبل دول المجموعة الأوروبية ولجانها المتخصصة المكونة من الخبراء. لذلك يخضع طلبنا للدراسة للوصول الى قرار ينتظر صدوره بدءا من الخامس عشر من الشهر الحالي. من جانبنا نحرص على تحقيق كافة الشروط المطلوبة من المجموعة الأوروبية. لم يكن لدينا اختيار آخر غير التقدم بطلب الاعتراف بدلا من البقاء كفضحية لمشروع صربيا الكبرى الذي نرفضه.

فرانيو توجمان



○ فرانيو توجمان

التقيت به صباح يوم احد غارقا في هموم السياسة والحرب وايضا معاناة الداخل الذي يفتسه اقتصاد الحرب. يوم السبت اخبرتني المتحدث باسم الرئاسة فيسنا شكاره بأنه تمت الموافقة على المقابلة بنسبة تسعين في المائة وتتبقى فقط نسبة عشرة في المائة تحتاج للتأكد مرة اخرى صباح الاحد قبل الموعد المقرر. في النهاية وصلت الى نسبة المائة في المائة والتقيت بالرئيس فرانيو تودجمان في مكتبه الفخم الذي يرجع للرئيس تيتو فيما سبق بغيللا غربا المقر الرئاسي بكرواتيا. يبلغ الرئيس توجمان من العمر سبعين عاما، شارك في حرب التحرير برتبة جنرال.

شيوعي سابق، لكنه تعرض للسجن بسبب نزعة الكرواتية. أسس «حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي» بمجرد خروجه من السجن. درس التاريخ في جامعة زغرب والف عدة كتب في نفس المجال. متزوج واب لولد وبنت.

مثل الرئيس بيجوفيتش يفهم الانجليزية ولا يتقنها. لذلك كان يجب مباشرة على اسلتي دون انتظار المترجم، بينما حرص على الاجابة باللغة المحلية ضمانا لدقة اللفظ والمعنى. في البداية تطرقت معه الى اهم ملامح التجربة الكرواتية في ظل الاستقلال، فاجاب قائلا: «نريد ان تصبح كرواتيا نموذجا للبرلمانية الديمقراطية والتعددية الحزبية. نريد ان تتبع سياسة السوق الحر كمنهج اقتصادي يتماشى مع سياسات العالم الحر. لقد فهم العالم ان هذا النظام هو الافضل للبشرية. ليس هناك نظام مثالي. ولكن التعددية واقتصاد السوق هما الافضل من حيث الاهداف المباشرة، وكذلك لتوطيد العلاقات بين دول الجوار ودول العالم مجتمعة. هذه المبادئ، تشكل القواعد الاساسية للديمقراطية لذلك يجب ان نراعي في هذا الاطار العام طبيعة كل دولة وظروفها الخاصة وآمال الشعوب وطموحاتها وتنمية المسيرة الديمقراطية وظروف المجتمع ذاته واحترام تقاليده وتاريخه».

● هل تعتقدون ان سواحل الادرياتيک سبب رئيسي لتحرك الجيش اليوغسلافي او الصربي بمواجهتكم، وتحرك المانيا السريع للاعتراف بكم؟

● ستفقد صربيا كل هذه السواحل بعد انهيار يوغسلافيا وحصولنا على الاستقلال. هذه حقيقة تبدو واضحة في مرحلة ما بعد الحرب، على الجانب الآخر لا توجد لدى المانيا اطماع في الاراضي الكرواتية. من ناحيتنا سنفتح شواطئنا للاتصال بالمانيا او اي دولة اخرى تود ان ترسي روابط مع كرواتيا او بواسطتها من الى وسط اوربا والبحر المتوسط.

● يقولون ان بون تنظر دائما لسواحلكم على الادرياتيک، خاصة في ظل امتلاكها ميناء وحيدا هو هامبورج!

● نحن نقدر ونأخذ في الاعتبار الموقف الالمانى المبادر بالاعتراف باستقلالنا، فقد قادت بون الاتجاه داخل اوربا نحو الاعتراف بكرواتيا. من ناحية اخرى يجب الانسى ان هناك دولا صغيرة اعترفت بنا ايضا مثل ايسلندا ومالطا فضلا عن دولة اخرى في موقع وسط بين النموذجين السابقين وهي السويد - علينا ان ننمي علاقات شاملة مع المانيا، بما لا يتناقض واستقلالنا وسيادتنا وبدون الدخول في وضعية خاصة لهذه العلاقات قد تنقص من استقلالنا.

● الحرب الدامية بينكم وبين صربيا - هل ستحول دون وجود علاقات مستقبلا بعد حلول السلام؟

● منذ عام ونصف عام طرحنا حلا لتفادي ملامح الازمة التي كانت مقبلة آنذاك. طالبنا بصيغة الكونفدرالية بتعاون جميع الجمهوريات تحول دون اندلاع الحرب. وهي صيغة تحفظ في الوقت ذاته على صيغة الدولة اليوغسلافية كاطار عام تندرج تحته دول متحدة ذات سيادة، بالتاكيد عملنا على تفادي الحرب والحيلولة دون وقوعها، لكن صربيا لم تأبه بالاقترح وفرضت علينا

شاهد على مأساة البوسنة

الحرب.. الآن لم يعد هناك محل لطرح اقتراح اتحادي فقد تجاوز الواقع ذلك الطرح في ظل الحرب المشتعلة. اعتقد انه بمجرد انتهاء الحرب وتمتعنا بالاستقلال والسيادة، سوف يكون هناك مجال لاقامة نوع من العلاقات خاصة في الميدان الاقتصادي عبر الارتباطات الاقتصادية التي اوجدتها الدولة اليوغسلافية في السابق.

● الاعتراف الالماني المبكر بکرواتيا والتردد الفرنسي الواضح هل يمكن ان يؤثر على علاقتكم مستقبلا بالطرفين ايجابا وسلبا؟

●● هناك فوارق ضئيلة بين موقفى المانيا وفرنسا ازاء المشكلة الكرواتية، وقد قامت الدولتان في اطار المجموعة الأوروبية بوضع عدة شروط للاعتراف بالاستقلال.. قامت المانيا بالاعتراف بدولة كرواتيا التي تحترم وتحقق هذه الشروط، واعتقد ان فرنسا ستلحق بها عاجلا.. الموقف الحالي يظهر نضال كرواتيا من اجل الاستقلال والسيادة والتحول نهائيا عن الشيوعية.. فالتحرك الكرواتي يعكس التغيير الواقع من حولنا ليس فقط في أوروبا، ولكن على مستوى العالم واعادة تشكيل اساسياته من جديد.

● ماذا عن الخامس عشر من الشهر الحالي؟

●● الخامس عشر من يناير يعني لدينا الاعتراف بجمهورية كرواتيا ووضع حد نهائي للحرب من خلال وقف اطلاق النار كاعتبار يحظى بالاولوية في اهتماماتنا. ويوفر نهاية حقيقية للحرب والعدوان علينا، الاعتبار الثاني الذي يبرز في هذا التاريخ، هو اعتراف العالم بدولة كرواتيا المستقلة. أمل ان يلتحق العرب بدول العالم التي يمكن ان تعترف بنا بدءا بالخامس عشر من يناير.. واعبر - بهذه المناسبة - عن دهشتي من ان الدول العربية لم تأخذ المبادرة وتنضم الى الدول التي سارعت الى الاعتراف بکرواتيا.

ان الدول العربية تحتل مكانة مهمة جدا في حركة عدم الانحياز التي يعد الرئيس تيتو احد مؤسسيها الرئيسيين. وقد اقام الرئيس السابق علاقات ودية وطيبة مع الدول العربية بالمشاركة مع الرئيس جمال عبدالناصر، احد اهم مرتكزات الحركة بقيادة تيتو وناصر كان الاعتراف بحق الشعوب في الاستقلال والسيادة. ويمكن تطبيق هذا المطلب الآن على الشعب الكرواتي الذي جاء منه جوزيف بروز تيتو.

● ماذا تنتظرون من الدول العربية؟..

●● ننتظر من الدول العربية ان تعترف باستقلالنا كدولة ذات سيادة. نأمل ان تمتد جسور التعاون الاقتصادي بين الجانبين مستقبلا. مما يدعم تفاؤلنا بامكانية تطوير العلاقات وتنميتها ان جمهورية كرواتيا تخضم اقلية مسلمة، مما يعد عنصرا جيدا بهذا الصدد.. بطبيعة الحال يشكل اتفاق التعاون الاقتصادي عاملا حيويا في العلاقات الثنائية، النفط مثلا من اشكال التعاون المأمول، لدينا منشآت انتاج نفطية، كما توجد لنا احتياجات حقيقية على صعيد استيراد النفط. كذلك تخضم اراضي كرواتيا خطا لانابيب النفط مرتبطا بوسط أوروبا ويمر بالمجر وتشيكوسلوفاكيا، يمكن ان يكون عامل جذب للاستثمارات العربية لتسويق خام النفط. ويشمل

مجال الاستثمارات ايضا رأس المال العربي الذي سيجد مجموعة تسهيلات كي ينطلق عبر الاقتصاد الكرواتي.

● انت رجل تاريخ، كيف ترى حقيقة الصراع بين صربيا وكرواتيا؟

●● نحن وصربيا ننتمي لحضارتين مختلفتين. صربيا ترجع - بشكل اساسي - الى الدين الارثوذكسي والدولة البيزنطية، كرواتيا ترجع لغرب اوروبا بتاريخها ودينها المختلفين، بعد ٧٢ سنة قضيناها سويا في ظل الدولة اليوغسلافية «سابقا» لم تتخلص الفروق بيننا بسبب المواقف الصربية. سنظل صربيا محكومة برؤاها التاريخية الى ان يتم تأسيس نظام ديمقراطي فيها. رغم ذلك أمل في ان نقيم معا علاقات جيدة مستقبلا، بدلا من التدخل في وضع تسوده القطيعة.

شاهد على مأساة البوسنة

٤٠



Q1

' zition of the Alexandria Library and Museum,
Bibliothèque de l'Université

الفصل الثاني

الرحلة الثانية

تقديم

العدوان الصربي على البوسنة والهرسك الذي اندلعت شرارته في الرابع من ابريل عام ١٩٩٢ جاء نتاجاً منطقياً لسلسلة تطورات سبقته. وقد بذل الرئيس علي عزت بيجوفيتش جهداً مستميتاً لينزع عن هذا التطور صفة المنطقية ويجعله امراً مستحيلاً بتأثير القوى الضاغطة المحلية والدولية، الا ان جهوده ذهبت ادراج الرياح. العدوان — رغم محاولات الرئيس — لم يفاجئني كما لم يفاجيء الكثيرين.

استشرفت في رحلتي الاولى رياحه القادمة من بلجراد عبر حادثين، ربما لم يُلتفت اليهما بما فيه الكفاية. الحادث الاول



* وحيدى بياليتش

ضحيته **وحيدى بياليتش**. جندي شاب مثل مئات الآلاف من الشباب البوسنوي البسيط القادم من الريف. مجند في الجيش الاتحادي او الصربي، لا فرق بينهما طالما ان القرار قرار بلجراد. كعادته انهى اجازته التي امضاها مع اهله وعاد ادراجه الى وحدته العسكرية. هذه المرة لم يرجع الى اهله في اجازة جديدة. لم يصعد الى ذلك البيت الريفي الصغير الذي تضمه قرية

كمنسكوف الواقعة على بعد ٦٠ كيلو مترا غرب سراييفو. نعم عاد وحيدى لكن عودته كانت جد حزينة ومأساوية، محمولا في نعش مع خطاب مرفق من الجيش الصربي. القرية التي تعيش نائمة هادئة تحت الثلج في اعلى قمة جبلية انتفضت حزناً على الشهيد. صعدت الجبل واستمعت الى والد وحيدى. حزن ممزوج بغضب يفوق ثقله ثقل الجبل ذاته الذي طالما جابه الابن الراحل. قال لي انه طلب من طبيب القرية ان يوقع الكشف على جسد وحيدى، تبين ان وحيدى تعرض لاطلاق النار من مسافة قريبة جداً. اخترق الرصاص رأسه على عمق سبعة سنتيمترات.

تتوالى رواية الاب. قتله الصرب وهو نائم لانه رفض المشاركة في القتال ضد الكروات. قتلوا وحيدى البالغ من العمر عشرين عاماً المشهود له بالصلاح واعتياد المساجد اقسام لي الاب انه سيقاوم اي استدعاء جديد يأتي لشقيقه ●. لم يكن الحادث الاول من نوعه. فقد شهدت سراييفو جنازة ضخمة في الاسابيع الاخيرة من عام ١٩٩١، لاول شهيد مسلم يقتل في نفس

● قبل رحيل الجيش الاتحادي عن اراضي الجمهورية من الناحية الشكلىة.

شاهد على مأساة البوسنة

الظروف. تميزت الجنازة بحضور واسع من المشيعين والمرور امام مقر القيادة العامة للجيش الصربي في مظاهرة احتجاج. ايضاً رفع المشيعون الجثمان فوق الاكف وذلك مظهر بوسنوي لا يتبع فقط الا مع الشهداء. الحادث الثاني شهدته العاصمة البوسنوية. شاحنتان محملتان بقواذف صواريخ وقنابل، ضبطتهما الشرطة في عملية تفتيش روتينية على اوراق الشحنة المنقولة. مدون في الاوراق ان الشحنة تضم صناديق مملوءة بالموز الذي ظهر انه في حقيقة الامر قواذف الصواريخ، والاناناس الذي اتضح ان كميات من القنابل. تجمع الناس حول مركز الشرطة حيث احتجزت الشاحنتان. اسرع الجيش الصربي بارسال بعض الضباط والجنود لاطلاق المحتجزين. تصدت الشرطة البوسنوية للجيش واصرت على ابقاء الشحنتين لديها. كانت فترة ما قبل العدوان مليئة — على ما يبدو — بعمليات نقل وتكديس السلاح في ايدي الصرب استعداداً لمرحلة الحرب.

ذهبت الى البوسنة والهرسك وكرواتيا في رحلتي الثانية ● وفي ذاكرتي هذان الحادثان بكل دلالاتهما. فقد كان واضحاً منذ البداية ان الطرفين، البوسنة والهرسك وصربيا اختارا الحرب سبيلاً على طريق المواجهة. لكن الحرب التي تبنتها سراييفو اصطبغت باللون الاخضر، منتهجة ديبلوماسية السلام دون اللجوء الى السلاح والبارود. اما بلجراد فلم تر غير الحرب بالسلاح طريقاً وحيداً لفرض ارادتها مستغلة في ذلك الاقلية الصربية الضخمة داخل الجمهورية وفلول القوات النظامية لتعطيل مشروع الدولة الواحدة ذات الاغلبية المسلمة.

مجرد نموذج

لم يشتعل حريق البوسنة والهرسك على يد صربيا فجأة في يوم وليلة، بل هو حريق مستمر على مدى نحو قرنين من الزمان، تفاوتت خلالها حدة لهيبه، والرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش مجرد نموذج تكرر مرات عدة طال هذا التاريخ المشحون كرها للمسلمين أشهر النماذج الدموية ستوجان نوكوفيتش الذي يعد من الشخصيات الصربية التاريخية المتعطشة سواء داخل البوسنة أو صربيا نفسها.

نوكوفيتش صاحب دعوة «تطهير الأمة من الاتراك» الذين حكموا المنطقة طيلة اربعة قرون، وتشهد الادبيات في منطقة البلقان خاصة على ان كلمة تركي هي مرادف حقيقي للمسلم، وفي اطار تلك الدعوة المجنونة اقتحم المتمردون مدينة بلجراد في الثامن من يناير عام ١٨٠٧ وعاشوا فيها فسادا لم يقتصر الامر على المسلمين فقط، بل شملت قائمة الضحايا اضافة اليهم اليونانيين واليهود، وهدموا عشرات المساجد والمقابر والمدارس الاسلامية، عنف لم تشهده العاصمة الصربية مرة اخرى في تاريخها، وذاق وباله البوسنيون الذين سكنوها في تلك الفترة.

مونتينيغرو او «الجل الاسود» برزت في نفس الاتجاه عام ١٨٥٢ حينما تم اجبار المسلمين على اعتناق المسيحية مراسم جماعية في منطقة وادي نهر ليم، بعكس الشرائع الكنسية الارثوذكسية التي تنص على تعميد كل فرد على حدة بواسطة القس داخل الكنيسة، تم التعميد الجماعي في مسرحية هزلية تحت اشراف زعماء القبائل ورجال الشرطة، بعد ذلك بستة وعشرين عاما اعلن مؤتمر برلين كلا من صربيا ومونتينيغرو دولة مستقلة، كسبت صربيا بموجب القرار اراضي جديدة أهلة بآلاف المسلمين لم يسلموا من الاضطهاد الصربي، مما دفعهم الى الهجرة. مؤتمر برلين اهدى ايضا مونتينيغرو - ضمن توزيع الغنائم العثمانية - اراضي جديدة شملت عدة مدن من البوسنة والهرسك، تكرر سيناريو الاضطهاد فبدأت الهجرة الى البوسنة والسنجق وكوسوفو والبانيا، شملت قائمة المدن المسلمة بموجب قرار برلين نيكيتيتش، وبودجوريكا، وبران، وكولاتسين وبار، وولسيني، وتزامنت تلك الاحداث المساوية مع احتلال الامبراطورية المجرية - النمساوية للبوسنة والهرسك في نفس عام ١٨٧٨ بعد القضاء على مقاومة شرسة من المسلمين، استهل الاحتلال سياسة مستمرة لتغيير هوية الشعب البوسنوي ادت الى احساس بالضياع، وعلى اثر ذلك استؤنفت موجات الهجرة من جديد باتجاه تركيا وبعض دول الشرق الاوسط، اشارت اكثر الاحصائيات ايلاما عن هذه الفترة الى ان مواطنا من بين كل ثلاثة مواطنين نزع من ارض اجداده تاركا بيته حفاظا على دينه ليستقر في المهجر بشكل دائم.

حروب البلقان التي اشتعلت بين عامي ١٩١٢ و١٩١٤ جلبت المزيد من المأسى، فقد جرى التهام اقليم السنجق وتقسيمه بين صربيا ومونتينيغرو بعد سلخه من البوسنة والهرسك دخل الاقليم مع هذا التطور مرحلة الابداء الجماعية، دفعت ابناءه الى الهجرة لمختلف انحاء العالم، تعرض مسلمو منطقتي بلاف وجوسني لانتهاكات مأساوية على يد عصابات النهب في مونتينيغرو، فقد حرقت البيوت واغتصبت النساء وقتل الابرياء، بدأ الأمر بقتل المئات واعقبه اكراه

شاهد على مأساة البوسنة

١٣ الفا على اعتناق المسيحية، لكنهم عادوا جميعا لاحقا لحظيرة الاسلام لاحقا . حلقة جديدة من الابادة المنظمة ضد ابناء البوسنة والهرسك، بدأت في الظهور مع اعلان تأسيس يوغسلافيا التي كانت تحمل اسم مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين طال الامر ايضا الاقليمين المسلمين السنجق وكوسوفو فضلا عن المسلمين في مقدونيا، شهدت منطقة شرق الهرسك وحدها قتل ٣ آلاف مسلم دون اي محاكمة . ومرة اخرى نكتشف في التاريخ نماذج لسلوبودان ميلوسيفيتس. فقد تمت المجزرة على يد عصابات كل من ماجوفوجوفيتش وبيتار روجان من اشهر المذابح واكثرها مأساوية في ظل مملكة يوغسلافيا تلك التي وقعت في بداية نوفمبر عام ١٩٢٤ في قرىتي ساهوفيتش وبافيانو بولجي الواقعتين بمنطقة بيجيلو بوجل، حيث قتل ٦٠٠ مسلم في ليلة واحدة بطريقة يصعب ان يوجد لها مثيل في التاريخ، فقد تم تقطيع اجساد الرجال والنساء والاطفال احياء، وفقت عيونهم، وقطعت آذانهم واعضائهم التناسلية، كما استخرجت احشائهم ورسموا عليها علامة الصليب بالسكين، واضطر الناجون منهم للزوح الى شمال البوسنة وتركيا والبانيا.

التاريخ الملتخ

تقليب صفحات التاريخ الملتخ بالدم يكشف ايضا عن اضطهاد اقتصادي مارسته المملكة اليوغسلافية، فقد اجرت ما سمي باصلاحات زراعية استهدفت افقر مسلمي البوسنة، ومحاصرة الدور النشط لابناء البوسنة والهرسك في دفع حركة المجتمع للامام، عبر تفتيت مناطقهم وامكن تجمعاتهم لتتلاشى الهوية وتضيع معالم الشخصية المتميزة بتحويلهم الى اقلية، ابرز مثال على ذلك الحاق بعض اراضيهم بصربيا لتذويهم ضمن الاغلبية، وعرف عام ١٩٢٩ قرارا بمثابة سرقة للتاريخ وذبح لحقائق الجغرافيا، وهكذا تم تقسيم البوسنة بين صربيا من جهة وكرواتيا من جهة اخرى كمقدمة لاحداث دموية فيما بعد اودت بحياة عشر المسلمين البوسنويين، تظهر الوثائق ان النادي الصربي الثقافي اعد مشروعين يستهدفان افراغ يوغسلافيا من المسلمين، الاول وضعه فاسو كوبريلوفيتش والثاني للدبلوماسي والكاتب المعروف ايفو اندريتش، وبذلك عرفت المنطقة هجرة مكثفة من البوسنة الى تركيا، كالعادة دمرت المساجد والمقابر الى جانب المدارس الثانوية الدينية والتكايا والحمامات التركية والعديد من المؤسسات الخيرية الاسلامية الاجتماعية والاقتصادية ومراكز أنشطة كاملة.

حرب التحرير اليوغسلافية (١٩٤١ - ١٩٤٥) افترت واقعا معقدا للغاية امام - المسلمين الذين بقوا اسرى الابادة الجماعية من جانبيين الاول حكومة كرواتيا الفاشية المتحالفة مع النازية التي انكرت عليهم هويتهم التاريخية والجانب الآخر «التشتيك» وهم ميليشيات الصرب الذين قاموا بعملية تصفية جسدية للمسلمين وسط ضباب المقاومة ضد النازي كستار يخفي حقدا حقيقيا على الاسلام، وهؤلاء «التشتيك» الذين عادوا الظهور الآن في الحروب الدائرة داخل الجمهوريات اليوغسلافية «سابقا» ادركوا في الاربعةينات ان ضجيج الحرب العالمية سيخفي المظالم الواقعة على شعب البوسنة والهرسك ستيفان مولجيفيتش منظر «التشتيك» اشتهر ببرنامجه الرامي الى ابادة المسلمين او ترحيلهم الى كل من تركيا والبانيا، وعثر في مذكرات دلازا ميهالوفيتش قائد هذه

الرحلة الثانية

٤٧

المليشيات على اوراق دعا فيها الى تصفية مسلمي البوسنة، وقد ارتكبت هذه المليشيات اعمال القتل الجماعي في مناطق ثلاث هي: شرق الهرسك وشرق وغرب البوسنة، واجزاء معينة من السنجق وكانت الحملة الاولى وقعت بين يونيو ١٩٤١ الى فبراير ١٩٤٢، والحملة الثانية في اغسطس ١٩٤٢ والثالثة عام ١٩٤٣ واجتاحوا مدنا كثيرة في المناطق الثلاث وعاشوا فيها قتلا وفسادا، ومن بين قائمة المدن المنكوبة لجوبيتي، وبلانا، وبيركوفيتش، واقتوفاك، وبيليشا وكولين - فاكوك، وكوراي وفيزجراد وروجاتيكا، وجورازد، وينيتش وفالسينكا، وصربرينكا، ونيفيسيني وفوكا وبروزور، وجابلانكا، وبلغيا وادستيكلينا، وجروني، وبرايتش ومالي زفورنيك.

لقد اوجدت الحرب العالمية الثانية وسط هذه الظروف الحالكة اكثر من مائة الف قتل مسلم لا قوا ربههم على يد المليشيات والحكومة الفاشية، لم يفرقوا بين طفل، وامرأة ورجل، كان القتل على الهوية.. على الاسلام حرقوا المزارع والبيوت على طريقة دير ياسين التي جاءت في اعقابها بسنين قليلة، سلخوا جلود الضحايا عند الوجه والرأس حتى الرقبة في عمل يرمز الى حجاب المسلمين كانت الفترة من (١٩٤١ - ١٩٤٥) التي ارتفعت فيها ممارسات العدوان والاضطهاد، بمثابة نهاية او خاتمة درامية للذبح الجماعي الذي استمر نحو قرنين في البوسنة والهرسك والسنجق ووصلت نسبة القتلى من اجمالي الشعب المسلم في سنوات الحرب العالمية الثانية وفق التقديرات المتوسطة الى ٧٦٪. بقدوم الشيوعيين الى الحكم امكن للقادة الجدد ان يضبطوا الهوس الصربي والمونتينيغري ويقللوا من سلوكهم الهجمي، لكن ستارا من السكوت والاهمال اسدل على تلك المجازر الجماعية البشعة، مما خلف شعورا بالمرارة لدى المسلمين في سائر انحاء يوغسلافيا «السابقة» الذين احساسوا انهم يحتلون درجة اقل في السلم الاجتماعي للشعوب اليوغسلافية لكن المؤكد ان فترة حكم تيتو وضعت حدا لحماقات الدم على النحو الذي كان سائدا من قبل، لكن الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش جزار اليوم الخارج من تحت عباءة عهد تيتو والحكم الشيوعي حمل معه كل احقاد التاريخ الصربي الارثوذكسي على الحكم العثماني ومن ثم مسلمي يوغسلافيا «سابقا» وعلى نحو خاص البوسنة والهرسك والسنجق وايضا كوسوفو التي تمر بفترة اكثر من عصبية في ظل الهيمنة الصربية.

عمر باشا

نار القصف الصربي للبوسنة والهرسك تطال انحاء الجمهورية ذات الاغلبية المسلمة.. مدينة مدينة، وشارعا شارعا، ما يحدث في ارض المساجد العثمانية الطراز ليس مجرد معركة بين جيش نظامي ومجموعات من المجاهدين البوسنويين، انه حرب ابادة منظمة ومعدة بشكل جيد لتدمير البشر والدولة ذاتها، وسط هذا العنف المجنون يثور التساؤل الطبيعي: ماهو مستقبل البوسنة والهرسك التي تعاني الامرين من جراء دينها وموقعها وتاريخها؟ استطلعت آراء اربعة من اهم قيادات المسلمين في البوسنة والهرسك ويوغسلافيا (السابقة)، منهم اثنان من المؤسسة السياسية الحزبية هما د. شمس تانكوبيتش رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا وعضو قيادة الحزب في البوسنة، ود. سليمان اوجليانين رئيس حزب العمل الديمقراطي في اقليم السنجق ونائب رئيس الجمهورية على عزت بيجوفيتش بصفته رئيس حزب العمل الديمقراطي

شاهد على مأساة البوسنة

(الاسلامى) في البوسنة. من المؤسسة الدينية بمعناها الفقهي والدعوى تم استطلاع اراء الشيخ يعقوب مصطفى سليموسكى رئيس العلماء والمجلس الاعلى للطائفة الاسلامية في يوغوسلافيا السابقة واعلى مرجع دينى رسمى لسبعة ملايين مسلم، **والشيخ شوقى عمر باشا** رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك ورئيس المشيخة الاسلامية في جمهوريتى كرواتيا



* الشيخ شوقى عمر باشا

وسلوفاينيا، وكلاهما يقوم بدور ملحوظ في تسير الشئون الدينية التي تتقاطع في أكثر من مفصل مع الواقع المعاش بهوموم الحرب والسياسة والاغاثة. انها محاولة لفهم وتحليل العناصر التي تحكم رؤية الداخل البوسنوي والاسلامي عامة. وغني عن البيان ان الصرب اهلكوا الحرث والنسل ونحن في العالم الاسلامي غارقين في فعل المشاهدة والمتابعة دون ان نخرج بمشاعرنا الى حيز الفعل الا من جهود اغاثية مشرفة قامت بها بعض هيئات الاغاثة الخليجية.

تبدأ حوارات الاستطلاع مع قيادات المسلمين بالشيخ شوقى عمر باشا رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك

ورئيس المشيخة الاسلامية في جمهوريتى كرواتيا وسلوفاينيا، يتولى مسئولية ضخمة في المرحلة الحالية استنادا الى عاملين اساسيين:

اولا: موقعه الشرعى كرئيس للمشيخة الاسلامية في كرواتيا وسلوفاينيا.

ثانيا: تواجهه ونفوذه الفاعل في كرواتيا التي تستضيف النثل الرئيسى من تيار المهاجرين البوسنويين الذي لا ينقطع وهويشكيل مع المهاجرين الكروات حوالى مليون شخص.

الشيخ شوقى من انصار الخيار المسلح.. ليس الآن فقط، فذلك خيار الجميع تحت وطأة القصف الصربى، انما الرجل المسلم الكرواتى اكتشف مبكرا جدا ضرورة تسليح الشعب البوسنوى تحسبا لاي طارئ فالتجربة التاريخية القديمة تثبت تعطشا صربيا لدماء المسلمين، والتجربة التاريخية الحديثة منذ العام الماضى تثبت جدوى استخدام الكروات للسلاح لكبح جماح الشهوة الصربية في العدوان ومحاولة بسط النفوذ خارج الحدود.

من ابرز جهود رئيس لجنة الطوارئ لدى زغرب سعيه لاستقبال الجرحى العسكريين وعلاجهم، يقول عن هذا الموقف الكرواتى «يتجاوبون معنا ويتولون تلك المسئولية بدون مقابل، ويتوزع الجرحى بين المستشفى العسكرى وسبعة عشر مستشفى مدنيا في العاصمة الكرواتية زغرب، الارقام الرسمية عن القتلى تشير الى اربعة آلاف قتيل ●. اعتقد ان الرقم الحقيقى عشرة آلاف قتيل. يؤكد ذلك اسلوب القتل الجماعى والتدمير الشامل الذى يشنه الصرب خاصة على الحدود المشتركة مع البوسنة. حدث ذلك على جانبي نهر (درينا) في مدن عديدة مثل بيلينا وزفورنيك وسرفليتسا وفوتشا وبراتوناتش. هذه المدن اخلت جميعا من المسلمين بعد ان بدأ

الرحلة الثانية

٤٩

القتال في عيد الفطر يوم الرابع من ابريل. اختيار التوقيت جاء متعمدا ليتزامن مع عيد المسلمين.

● دوركم كهيئة اسلامية في زغرب؟

● ● نقوم بالتوعية الدينية وسط المهاجرين الذين بلغ عددهم في كرواتيا وحدها ٢٧٠ ألف شخص من النساء والاطفال والكهول، يضاف اليهم عدد المسلمين من ابناء كرواتيا البالغ ٢٠٠ ألف شخص ويمثلون نسبة ٢٪ من اجمالي عدد السكان ويقوم على خدمتهم ١٤ إماما، سعيانا منذ اليوم الاول لتدفق المهاجرين الى توفير سبل المعيشة من مسكن ومأكلا واحتياجات طبية، جاء بعدها دور التوعية الدينية، حيث تم تشكيل فريق من الائمة يتكون من ٥٤ اماما بعد ان اضيف اليهم ٤٠ اماما. رافقوا المهاجرين في رحيلهم من البوسنة والهرسك، تم توزيعهم على المساجد والمدن وتجمعات المهاجرين عموما، كما بدأنا مؤخرا باعداد كتاب اسلامي خاص لتوعية المهاجرين وسط هذه الظروف الاستثنائية.

● أنتم مرتبطون بشكل او بآخر، بالواقع الكرواتي وما يعانيه اصلا بسبب الحرب؟

● ● كرواتيا لديها اصلا ٧٠٠ ألف مهاجر من داخل كرواتيا من جراء الحرب مع صربيا التي تحتل ثلث البلاد، واقترب العدد من المليون بعد لجوء المهاجرين البوسنيين الى كرواتيا، هؤلاء يزداد حجمهم يوميا بمعدل يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ مهاجر يمثل المسلمون نسبة ٩٥٪ منهم، فالمناطق البوسنوية التي يقطنها الكروات متحررة من سيطرة الصرب وتقع في الهرسك الغربية.

● والاتصال مع كرواتيا على الصعيد الرسمي؟

● ● التقى مع نائب رئيس الوزراء الكرواتي المسئول عن شئون النازحين للتنسيق والتشاور وبحث اوضاع المهاجرين.

● ملامح الحرب حاضرا ومستقبلا؟

● ● هناك تدمير صربي لمدن وقرى البوسنة. مازالت الحرب - وفقا لتصوري - في بدايتها، المشكلة لن تنتهي في المستقبل القريب، اذا لم يحدث تدخل عسكري اجنبي، اعتقد ان الحرب ستستمر حوالى سنتين، فالحقد الصربي على الاسلام والمسلمين لا يعطى فرصة لنهاية قريبة للحرب، في المقابل يتواصل رد الفعل البوسنوي - الكرواتي عبر تقوية الدفاعات العسكرية. كل ذلك يشير الى امتداد الحرب لوقت طويل.

● ماذا عن امكانية السلام؟

● ● لا عودة للسلام إلا بتحرير كامل للبوسنة والهرسك، اذا اراد المسلمون والكروات المهاجرون العودة الى البوسنة، لابد من تحريرها من العدوان الصربي اولا.

● لماذا تقف بجانب التدخل العسكري الاجنبي؟

● ● قناعتي ان الحل الحاسم يقتضى تدخلا عسكريا اجنبيا وسريعا، جمهورية صربيا التي بدأت الحرب لاتزال قوية جدا. جيشها يحتل المرتبة الرابعة بين جيوش اوروبا، اغتصب اسلحة من

شاهد على مأساة البوسنة

٥٠

حق البوسنة والهرسك، هذا الجيش لم يتم بناؤه بمال وخبرات الصرب وحدهم، انما شاركت فيه جميع شعوب يوغوسلافيا السابقة، كل ذلك تم الاستيلاء عليه ومصادرته لصالح بلجراد، يضاف الى ذلك قسوة وبشاعة الجرائم الصربية على يد الجيش والمليشيات (التشنتيك) سواء في البوسنة أو كرواتيا.

- واذا اشتعلت جبهتا كوسوفو والسنجق؟
- تتكرر حروب البلقان بشكل مصغر نسييا.
- تتكرر حروب البلقان مرة اخرى ١٩١٢ - ١٩١٤
- لا اعتقد... الاوروبيون مدركون لخطر توسيع دائرة الحرب.
- كيف ترى الموقف مع اعلان جمهورية كوسوفو المستقلة؟
- ارجح اشتعال الحرب وتطايير شررها الى السنجق.
- الاحتمالات المستقبلية لواقع مسلمي يوغوسلافيا السابقة؟؟
- لدينا مستقبل جيد إن شاء الله — رغم الحرب — اذا ادركنا ان القوة هي لغة التعامل مع عدو يستولى على اراضي المسلمين.
- النموذج الكرواتي يفسر ما تذهب اليه؟؟
- نعم استخدم الكروات القوة، فاقتلعوا جذورهم من ٧٠٪ من اراضيهم. انه الحل الوحيد.
- ومصادر التسليح؟
- لا بد ان يبحث عنها البوسنيون بانفسهم؟
- وتسليم الجيش الصربي (الاتحادي) لاسلحته قبل مغادرة الثكنات العسكرية في سراييفو؟
- خدعة.. تركوا صناديق فارغة ومئات البنادق القديمة.
- والدعم العربي والاسلامى؟
- هام وحيوى.. لكن العمل الحقيقى هو جهاد ابناء البوسنة انفسهم بالروح والمادة، لست من المؤمنين بان القوة تأتى من الخارج. المصدر المادي الاساسى هو ابناء الشعب وايمانهم ثم تأتى بعده العوامل الخارجية ولها دورها الاساسى ايضا.
- ما يحدث اختبار لشعب البوسنة؟
- اختبار حقيقى. اما ان يستحقوا الدولة، واما ان يفشلوا، يجب ان يمروا بنفس المرحلة التى مر بها الكروات المليئة بالدم والنار والتضحية.
- كان رهان القيادة البوسنوية رهانا على السلام!
- خطأ! القانون الازلي هو المحافظة على السلام بالقوة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»..
- قد ذبحونا كالا بقر والغنم على امتداد مجرى نهر (درينا) بطول ٣٠٠ كيلومتر.. من المسئول عن هذا؟!

الرحلة الثانية

٥١

- الرئيس على عزت بيجوفيتش؟
- احترام جدا الرئيس، لكن سياسته لم تنجح.
- الرئيس لم يكن مطلق اليد.. لديه اقلية صربية ضخمة تليها اخرى كرواتية؟
- يجب الا نسلم بالواقع بزعم انه معاكس لرغباتنا. يجب النزول عند ارادة الشعب. كان على الاخير أن يفرض رغبته على الرئيس. الرغبة في التسليح والاستعداد. الرسول صلى الله عليه وسلم نزل عند رغبة الصحابة في اختيار موقع غزوة أحد. الرئيس على عزت سجن وعذب على يد الصرب. يعرفهم اكثر منى. لم ينس بعد مذبحه نهر (درينا) التي وقعت سابقا في التاريخ، وها هي تتكرر اليوم. قتل الصرب في مدينة قوتشا وحدها ٥ الاف مسلم وحرقوا كل ماطالته ايديهم.
- اضيف ان المسئولية الحقيقية تقع على عاتق المحيطين بالرئيس من المسلمين والكروات على السواء، كيف اقلنت من بين ايديهم سبل تعزيز مواقعهم ولديهم حقائق وزارات الدفاع والداخلية والخارجية والمالية.
- ودورك بمواجهة هذا التيار؟
- نبهناهم في كرواتيا منذ وقت مبكر بأن الحرب لا مفر منها.. لم يلقوا بالا لهذه التحذيرات.
- الوقت الآن متأخر جدا؟
- المشكلة البوسنوية الرئيسية ليست الروح الجهادية التي تتوافر والحمد لله، هناك حالة من التخبط العسكري اكتشفتها بعد عودتي من جولة في الجبهة استمرت عشرة ايام*. زرت جميع المدن ووصلت الى مسافة ٤ كيلومترات من سراييفو. اكتشفت ان كل مدينة تدافع عن نفسها منفردة بمعزل عن المدن الاخرى ودون تنسيق، لا تريد ان تنتشر خارج حدودها لتعاون جاراتها وتمد خطوط دفاعاتها لتتواصل مع بقية الخطوط، يوجد عسكريون بوسنويون محترفون وخبرات عسكرية، لكنها مفتتة ومقطعة الاوصال.
- والحل؟
- تشكيل قتالى من لواءين الى ثلاثة يتكون من ١٥ ألف مجاهد كقوة مستقلة تعمل للدفاع عن جميع اراضى البوسنة بشكل حر ومتحرك حسب مقتضيات المعارك، ولا تقتصر جهودها على الدفاع عن مدينة بعينها، فانهما كل مدينة بالدفاع عن نفسها منفردة يعطى للصرب فرصة الالتفاف حولها وفرض الحصار، ويحول دون شن هجمات مضادة كبيرة، يعزز ذلك نوعية السلاح الصربي الذى يشمل الطيران والمدفعية والدبابات.
- من مظاهر حالة التخبط أو الفوضى اذا جاز التعبير؟
- يوجد في بعض المدن ألف مجاهد أو ألفان، في البعض الآخر لا يوجد أى مجاهد، كذلك لا نعرف عدد المدافعين عن سراييفو، المسلمون بوغتوا بالحرب، صدموا صدمة كاملة.
- حالة الصدمة مستمرة؟
- حسبما لاحظت في جولتي، بدأوا يستيقظون. تأتينا كل يوم عشرات الوفود طالبين

الاسلحة.

- لديكم اسلحة ثقيلة؟
- بدأنا الاستيراد مؤخراً.

مصطفى سليموسكى

الشيخ يعقوب مصطفى سليموسكى رئيس العلماء والمجلس الاعلى للطائفة الاسلامية في يوغوسلافيا السابقة يعد أعلى مرجع ديني رسمي لسبعة ملايين مسلم يتوزعون بين الجمهورية الام البوسنة والهرسك وبقية الجمهوريات الست، غادر سراييفو بعد حوالى ثلاثة اسابيع من العدوان الصربي، ولم يتمكن من العودة اليها، أثر في ظل هذا الوضع ان يمارس مهامه خارج الميدان مضطرا واتخذ المركز الاسلامى في زغرب مقرا مؤقتا لمتابعة الشئون الدعوية في ذلك الطرف الصعب.

يتنقل رئيس العلماء في الداخل والخارج بما تمليه عليه مصالح تلك الامة التى تمثل خط الدفاع الاول عن المسلمين في الشمال وفي قلب اوروبا. التقى ببابا الفاتيكان، حيث تناقشا سويا حول اوضاع البوسنة والهرسك والحرب المستعرة على ارضها. وكان الاخير قد دعا اوروبا اكثر من مرة الى التدخل لحماية الجمهورية المسلمة، كما بحثا سويا امكانية التعاون كهيئات دينية، خاصة وان كرواتيا الكاثوليكية التى تستقبل المهاجرين المسلمين تتبع الفاتيكان، الى جانب ذلك التقى الشيخ يعقوب بقيادات المسلمين ويشارك بفعالية في الحوار الدائر واتخاذ القرارات الهامة. ويستقبل في الوقت نفسه العديد من الوفود الشعبية القادمة من العالم العربى والاسلامى شارحا لهم ابعاد القضية واهداف حرب الابداء الصربية، ومؤكدا على ضرورة دعم المسلمين في كل مكان لاخوانهم في البوسنة والهرسك وبقية جمهوريات يوغوسلافيا السابقة.

يتحدث رئيس المجلس الاعلى للطائفة الاسلامية عن غد المسلمين في جمهوريات يوغوسلافيا السابقة قائلا: «دخلنا مرحلة صعبة جدا في تاريخ شبه جزيرة البلقان، المنطقة معرضة تاريخيا للانفجار في ظل تركيبة سكانية متعددة الشعوب والديانات، لذلك شهدت صراعات شهيرة تركت اثارها على العالم اجمع، خيار المسلمين الوحيد اليوم هو نيل الحرية الكاملة عام ١٩١٢ كانت بعض مناطق البلقان خاضعة للنقوذ العثمانى، وعند توقيع (اتفاق برلين) كانت البوسنة والهرسك منطقة عثمانية، الاحقاد على البوسنويين والمسلمين عامة تعود الى ايام سيادة الدولة العثمانية في المنطقة، لذلك يعتبرون المسلمين هنا طائفة تركية او عثمانية بقيت في المنطقة بعد رحيل الفاتحين، هذا الادعاء غير صحيح، فمسلمو يوغوسلافيا ينتمون في اغلبهم للمنطقة ولم يفدوا اليها من الخارج، خطورة الوضع علاوة على اشتعاله في البوسنة، متمثل في امكانية اتساع دائرة الحرب لتشمل السنجق وكوسوفو ومقدونيا «اذا حدث ذلك ستشهد حربا بلقانية جديدة».

- هل يمكن ان يتكرر سيناريو الحرب العالمية الاولى وتندلع شرارة الحرب من سراييفو والبلقان عامة؟

- هناك احتمال لوقوع مثل هذا السيناريو، قديما قتل ولى العهد النمساوى في سراييفو،

وكان ذلك بداية الحرب العالمية الاولى، في الحرب العالمية الثانية، كان للمنطقة شأن كبير. كما ان كوسوفو ستستقل. إذ لا يمكن ان تبقى داخل صربيا، فهناك نزاع عميق وحقد صربي قديم.

● ما يحدث الآن يفسرهُ المسلمون بأنه في جزء منه راجع الى انسحاب الاسلام من مساحة كبيرة من الحياة اليومية للمسلمين في البوسنة وبقيّة انحاء يوغوسلافيا السابقة!

● المحنة عامة، بورما.. الفلبين.. فلسطين وغيرها. اكثر من جرح في العالم الاسلامي. هذا اختبار من الله عز وجل لتستقيم الامة على طريق الاسلام، لا يمكن اغفال العزلة التي عشناها طويلا عن العالم الاسلامي، العالم الاسلامي نفسه كان واقعا تحت سيطرة الاستعمار الاوروبي المباشر، كما دخلت الدولة العثمانية مرحلة (رجل اوروبا المريض)، نحن نعيش - كذلك - في وسط مسيحي متعصب تصاعدت حدته في السنوات الاخيرة، ولا ينسينا هذا الواقع الضرب المنظم الذي وجهته الشيوعية للاديان مع التركيز الشديد على الاسلام بصفة خاصة، اذا اخذنا كل ماسبق في الاعتبار، سنرى ان الذي حدث لم يأت فقط بسبب نقص العلم والعمل بالدين. الامر متعلق ايضا بالظرف المحيط والتحولات التي شهدتها المنطقة، من الطبيعي ان الجسم كله يتأثر اذا مرض أى عضو فيه.

● دور هيئة الطائفة الاسلامية في هذا الميدان؟

● بدأ المسلمون منذ حوالي عشرين عاما وبخاصة هيئة الطائفة الاسلامية بتطوير وتنشيط دورها الاسلامي وسط ظروف صعبة جدا يهيمن عليها الفكر والنفوذ الشيوعي، افتتحنا المدارس الثانوية الاسلامية وكلية الدراسات الاسلامية قبل ١٢ سنة، ابتعنا عددا كبيرا من ابناء المسلمين للدراسة في جامعات الدول الاسلامية، خصوصا الازهر الذي كان له شأن واضح في هذا المجال، العام الحالي ● لدينا اكثر من ١٢٠ طالبا في جامعة الازهر وحدها، واعداد اخرى في الجامعات الاسلامية بالسعودية، وتونس، والجزائر والسودان وتركيا.

● هل يتواءم حجم البعثة مع عدد المسلمين؟

● نطلب من جانبنا منحاً أكثر والمزيد من المساعدات لتطوير الدراسات الشرعية في مؤسساتنا التعليمية، بما يتناسب وعددها البالغ سبعة ملايين نسمة من اجمالي عدد سكان يوغوسلافيا السابقة ومقداره اربع وعشرون مليون نسمة، نحن اكبر مجموعة اسلامية في اوروبا، شرحنا للمسؤولين في العالم الاسلامي اهمية بعث دور المسجد والمؤسسات التعليمية الاسلامية، ليقوم المسجد بمهمته الحقيقية كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

● أثرت الحرب على الشيوعيين باعتبارهم أهم رموز المرحلة السابقة؟

● الحرب فتحت عيون الناس حتى هؤلاء الذين انضموا يوما ما للحزب الشيوعي، بعضهم غير فكره بعد دعاية اشرفت عليها الدولة لفترة اقتربت من الخمسين عاما، هذا البعض تبني منهجا مكتملا غير منقوص، عودته للاسلام سريعة وحاسمة بعد اكتشاف حالة الغيبوبة التي عاشها طويلا، رأى ان الصرب لم تغادرهم رغبة مدمرة في احكام السيطرة على الآخرين، انتبه الى حقيقة

الروح الاسلامية ودورها، الحرب - ايضا - جعلتنا ننخرط في سلك الدفاع عن الاسلام وسط اوربا المسيحية، ثم عن انفسنا داخل منطقة البلقان.

● بعض اسماء لقيادات شيوعية عادت الى حظيرة الاسلام!

● اذكر بعض الحالات في الجمهورية التي جئت منها (مقدونيا) مثل فخرى كايا احد اعضاء هيئة الرئاسة وقت الحكم الشيوعي، تحول الآن الى الاسلام وانتمى الى احد الاحزاب الاسلامية، ويوجد في مقدونيا احزاب عديدة للمسلمين مثل الحزب الديمقراطي الالباني، ففي مقدونيا كل الالبان مسلمون بنسبة مائة في المائة، هناك ايضا الحزب الديمقراطي التركي، وحزب الشعب، وحزب العمل الديمقراطي، الشباب في سائر انحاء يوغسلافيا (السابقة) يقبل الآن على الاسلام جنبا الى جنب مع صفوة المثقفين مثل اساتذة الجامعات، يزدادون ايمانا بدينهم، ومنهم من يتطوع للعمل في الهيئات الاسلامية.

● رأيك في محنة الحرب والمذابح؟

● المحنة نعمة من الله يثبتنا ويقوى بها انفسنا على طريق السلام.

● واقليم السنجق؟

— سيكون جزءا من كوسوفو، وما ينطبق على كوسوفو، ينطبق على السنجق، الاخير يمكنه ان يصبح اقليما يتمتع بالحكم الذاتي داخل جمهورية كوسوفو. انضمامه للبوسنة غير ممكن، لان المجموعة الأوروبية تشترط عدم تغيير الحدود الداخلية للاعتراف بالدول المستقلة حديثا.

● عودة للعالم الاسلامي.. تصورك على نحو أكثر تفصيلا، لتحركه ازاء قضيتكم؟

● نطلب منه التدخل لدى مجلس الامن من اجل ارسال قوات دولية الى البوسنة لحمايتها من العدوان الخارجي، لا بد ان يتحرك العالم الاسلامي اليوم قبل الغد، انا لا اتكلم عن هزيمة، فنحن لا نفكر في مجرد امكانية وقوعها، اقصد فقط تزايد عدد الشهداء والدماء المراقبة، كما يجب تدعيم جهود الاغاثة سواء باتجاه داخل البوسنة او خارجها، يتوازى هذا العمل مع جهد اعلامي مكثف في مواجهة دعم مادی اعلامي صربي وكرواتي للأقليتين الصربية والكرواتية داخل البوسنة والهرسك.

● واعتراف بعض الدول الاسلامية بيوغوسلافيا الجديدة او يوغوسلافيا الثالثة؟

● يجب ألا يتم الاعتراف بها.. انها دولة دموية تتبع سياسة عدوانية، اقصد بذلك الحكومة دون الشعب، سياستها ثابتة تهدف الى ابتلاع البوسنة والهرسك حاليا او مستقبلا، الاعتراف يعنى كذلك ابتلاع كوسوفو والسنجق وهما يضمنان نحو مليونين ونصف المليون مسلم. في بلجراد يوجد خمسون الف مسلم لا يعرف أى مصير يمكن ان يحيط بهم.

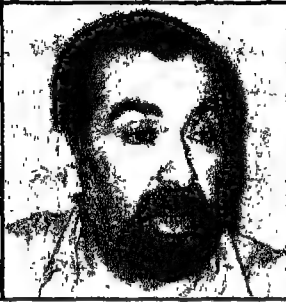
● كيف تفسر اشترك الشيخ حمدي يوسف مفتي بلجراد في حفل اعلان يوغوسلافيا الجديدة (صربيا والجبل الأسود)؟

● اتفهم تماما موقفه واعرف مقدار الضغوط الصربية الواقعة عليه.. لذلك لا أطلب منه أكثر

مما يقدر عليه في مواجهة تهديدات يعلمها الجميع، المؤكد انه ينكر سياسات صربيا بقلبه.

شمس تانكوبيتش

د. شمس تانكوبيتش رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا وعضو قيادة الحزب في البوسنة



* شمس تانكوبيتش

يحمل محاوره معه الى اجواء شديدة التفاؤل رغم اجواء الحرب غير الشريفة التي يشنها الصرب على شعب يكاو يكون اعزل من السلاح. استاذ جامعي انطلق من الاقتصاد الى قمة العمل السياسى الاسلامى في كرواتيا والبوسنة. لم يمنعه الاستشهاد اليومى للبوسنويين، من ان يتوقع لقاء ثانيا في سراييفو خلال شهر واحد، ربما زاده شلال الدم البريء المنساب فوق اراضى البوسنة، يقينا في النصر الآتى من عند الله اولا ويدعم العالم العربى والاسلامى ثانيا. رئيس حزب العمل الكرواتى استاذ لعلم الاحصاء بجامعة زغرب له اربعة كتب ونحو خمسين بحثا، حاصل على الدكتوراه في (التحليل الاقتصادى) يبلغ من العمر خمسين عاما، ابن لاسرة بوسنوية عريقة الجذور، ولد في احدى المدن الواقعة على الحدود المشتركة بين البوسنة وكرواتيا، توفي والده بعد ولادته باحد عشر يوما فاعطته الاسرة اسم الوالد، الشقيق الاصفر لثلاثة اشقاء، متزوج، وأب لهارون وحارث.

يتحدث عن الاحتمالات القائمة امام البوسنة والهرسك بقوله ان هناك احتمالين «الاول: قيام الاسرة الدولية بدورها خاصة مع ادراكها حجم المشكلة، وامكانية حدوث التدخل العسكرى بعد فرض الحظر، اذا لم يتم التدخل، يبرز الاحتمال الثانى وهو وقوع نزاع طويل في البلقان ربما امتد لعشر سنوات».

● على نمط حروب البلقان ١٩٩٢ - ١٩٩٤

●● لا اعتقد. واقع اليوم سيختلف تماما عن العقد الثانى من القرن الحالى، عند تأسيس يوغوسلافيا الاولى كان المسلمون خارج الدائرة. ولم يشاركون في تأسيس الدولة التي تحطمت بحمد الله، يوغوسلافيا الثانية شاركنا في تأسيسها وتكوينها من ست جمهوريات، غير انها اعترفت بخمس امم باستثناء امتنا المسلمة، كانت الجمهوريات هي صربيا ومقدونيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا. دولة اليوم الثالثة يختلف وضعها تماما، فهناك دولة البوسنة والهرسك المستقلة المعترف بها، حيث يعيش المسلمون كأغلبية، نحن اليوم امة ذات كيان سياسى وهذا امر مؤكد، هذا الواقع يحمل عنصرا جوهريا جديدا يختلف عن الدولتين السابقتين.

● انت رئيس حزب العمل الديمقراطي في كرواتيا، هل تنظر الى حزب العمل الديمقراطي في البوسنة والهرسك كحزب أم بالنسبة لكم؟

●● انا لست فقط رئيسا للحزب في كرواتيا، لكنى كذلك عضو في قيادة الحزب بالبوسنة والهرسك، على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك هو رئيسى أنا ايضا، حقيقة البوسنة

شاهد على مأساة البوسنة

دولة وكرواتيا دولة أخرى، لذلك يمكن لحزبنا ان يتصرف بحرية وفقا لرؤيته الخاصة ووضاعه في كرواتيا، بما لا يعنى انفصالنا عن الحزب الام في سراييفو في اطار العقيدة الواحدة التى تربط بعضنا البعض.

● بحسابات القوة العسكرية، هل تكفى القوة الذاتية للبوسنة في مواجهة احد افضل الجيوش الاوروبية؟

● يصعب الاجابة باختصار على هذا السؤال، ويمكن تفصيل الاجابة من خلال المدى الزمني. إذ انه بدون تأثير ودعم متعاطف من الاسرة الدولية، يصعب علينا جدا الاستمرار في رد العدوان، على المدى البعيد سننتصر يقينا بمدد من الله.

● ثار مؤخرا كلام عن اليهود البوسنويين بعد اندلاع الحرب؟

● انا سعيد باثارة هذا الموضوع. يبدو ان الكثيرين نسوا واقع اليهود معنا عبر التاريخ منذ طردوا من الاندلس مع المسلمين قبل خمسة قرون، اتخذ اليهود الدولة العثمانية ووطنا ثانيا خاصة في البوسنة والهرسك، مثل اليهود نسبة ١٥٪ من سكان سراييفو قبل الحرب العالمية الثانية، قل عددهم بعد اندلاع الحرب، ظل عدد منهم في البوسنة والهرسك وشارك بفاعلية في المؤسسات والهيئات العامة، تغيب الاحصائيات الدقيقة عن تلك الفترة، وتشير بعض التقديرات الى تراوح عددهم بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ شخص في ذلك الحين، واكبر كثافة يهودية داخل يوغوسلافيا السابقة تمركزت في البوسنة والهرسك، يمكن القول - نتيجة لذلك - انهم حققوا اندماجا حقيقيا في المجتمع البوسنوي، خلال الخمسة قرون التى عاشوها معنا لم تقع اية مشاكل أو سوء فهم، كنا نتلقى احداث فلسطين بحماسة ظاهرة دون ان ينعكس ذلك ابدا على علاقاتنا مع الاقلية، يكفي ان نذكر - بهذا الصدد - ان سراييفو هى المدينة الوحيدة في العالم التى تضم مسجدا وكنيسة ومعبدا في مساحة قدرها مائة متر مربع فقط، وفي اول مؤتمر عام لحزبنا بسراييفو وجهنا الدعوة الى الحكومة الاسبانية لندرس سويا ابعاد اليهود من الاندلس بطريقة وثائقية.

● ترى - اذن - ان الشخصية الاسلامية للبوسنة كفيلا بتكريس مبدأ التسامح مع الأديان الاخرى؟

● بالطبع، فالمسلمون يشكلون اغلبيية السكان، وينعكس ذلك على طبيعة المجتمع وشخصيته العامة.

● ترددت انباء عن جسر جوى (اسرائيلي) لتهجير اليهود البوسنويين!

● اقيم هذا الجسر في بداية الحرب، وخصص لتهجير بعض النساء والاطفال.

● كيف تفسر الاتفاق الذى وقعه الصرب والكروات البوسنويون في مدينة جراتس النمساوية من خلف ظهر المسلمين؟

● اخشى ان هذا ليس اوان فتح الموضوع. مع ذلك أمل ان تأتى اللحظة المناسبة التى اقدر

فيها على تناول تلك الخطوة، عموماً فإن المدخل الرئيسى لفهم اتفاق جراتس. ان تحرك شعبنا منذ ثلاث سنوات بقيادة الرئيس على عزت بيجوفيتش، أحدث صدمة لكل من الصرب والكروات معاً، كلاهما فكر في انه قادر على تحييد حركتنا، ما بين متطرفى الصرب ومتطرفى الكروات شاع أمل في محو البوسنة من فوق الخريطة، بقيت البوسنة وان كانت تمر بأزمة حقيقية ذات طابع ديموى، حصلنا على الاعتراف الدولى وعضوية الامم المتحدة، ولا توجد قوة تستطيع اعادة التاريخ مرة اخرى للوراء، فنحن ندافع عن البوسنة ومستعدون دائماً للدفاع عنها.

● انتم بهذا المعنى امة قديمة حديثة في آن واحد!

● ● الشعب البوسنى او البوشناقي شعب قديم، وطننا يحمل اسم البوسنة والهرسك دولتنا اسمها البوسنة والهرسك تحتضن ثلاثة اديان، حين اتحدث عن ١٦٥ سنة مضت، اذكر ان هويتنا السياسية تعرضت للتناسى. قبل العودة اخيراً الى دولتنا المعترف بها، يمكن ان اجيب على السؤال بنعم، نحن دولة قديمة حديثة.

● تعليقك على رد فعل العالم العربى والاسلامى؟

● ● راض تماماً عنه، الامارات.. السعودية.. الكويت، وغيرها تقوم بدور نشط ضخم، دور هام جداً ومؤثر خصوصاً في مجال اعمال الاغاثة.. المركز الاسلامى في زغرب الذي يأوى اليه المهاجرون والمهتمون بقضيتنا اقيم اصلاً بمعونات الدول العربية والمسلمة، اذكر ايضاً الدور الفاعل لمنظمة المؤتمر الاسلامى في تحريك القضية، كذلك الدول التى ساندتنا وسحبت سفراءها من بلجراد واعترفت بالبوسنة والهرسك مع كرواتيا، سياسياً يعد موقف العالم الاسلامى مرض جداً، ونرى ان تحرك مجلس الامن جاء في جانب منه كرد فعل لضغط الدول الاسلامية لصالحنا، بعد ذلك ننتظر تطوير الدعم والتأييد للتصدي للتدمير المنظم الذى يقوم به الصرب لسرايفو وسائر انحاء البوسنة.

سليمان اوجليانين

د. سليمان اوجليانين، طبيب اسنان يفيض ثقة وحماساً لدرجة تدهش وتثير استغراب حتى بعض البوسنويين انفسهم، عمره ٢٨ عاماً.. رئيس حزب العمل الديمقراطى في السنجق، ذلك الاقليم البوسنى المهدى شطرين الى صربيا والجبل الاسود، اجمالى عدد السكان نصف مليون نسمة من بينهم ٢٥٠ الف مسلم بنسبة ٧٠٪ من العدد الكلى، يمثل اقصى درجات التعامل الواقعى مع الحرب المستعرة بين الصرب والمسلمين، مرجع الواقعية، ادراكه لاهمية فرض الامر الواقع على الارض وعلى موائد الديبلوماسية، اقليمه او بلده الصغير عاصمته «نوفى بازار»، تبلغ مساحته ٨٦٨٧ كيلومتراً مربعاً، يوجد في العاصمة وحدها ١٨ مسجداً متبقية من ٢٨ مسجداً منذ عام ١٩١٢، حين بدأت الهيمنة الصربية تفعل مفعولها وتحاول طمس ملامح الهوية الاسلامية في طريق الابادة الدينية اقلوا مدرستين اسلاميتين ثانوية وعليا، وهدموا الكثير من المؤسسات الاسلامية الاخرى لالغاء الصفة الاسلامية عن الاقليم. د. سليمان الخامس بين ٧ اشقاء ابن لعامل بأحدى الشركات، وربة بيت. هاجر جده من مدينة متروبيتسا في كوسوفو بعد رحيل العثمانيين ومصادرة اراضيه، الى «نوفى بازار». حصل على الابتدائية من متروبيتسا وبكالوريوس

شاهد على مأساة البوسنة

الطب من جامعة بريشتينا عاصمة كوسوفو، التحق بالدراسات العليا وانتهى من ثلاثة فصول من أطروحة الدكتوراه وجاءت حرب البوسنة وأحداث السنجق لتحول دون اتمام الفصل الرابع والآخر.

رئيس حزب العمل الديمقراطي في السنجق يشغل أيضا منصب نائب رئيس الحزب في البوسنة والهرسك رئيس الجمهورية على عزت بيجوفيتش، يؤمن حتى النخاع بالبقاء في الداخل رغم كل المخاطر الصربية واحتمالات الاغتيال. هاجر أهل زوجته من بغداد منذ عدة قرون إلى السنجق، انجبت له ثلاث بنات، صائدة، وسامرا، وبينهما صائمة التي انجبت لها أمها وهي صائمة في أول أيام رمضان. يقول إن أسرته كلها، والده والدة وأشقائه وزوجته وبناته يعيشون في الداخل. ويضيف «لن يهاجر شعبنا تحت أي ظرف وإن تحدث هجرة من السنجق مرة أخرى، وإذا حدث ذلك سأكون آخر من يهاجر، وإذا قتلنا فلنقتل في أراضيها». الدارس لتاريخ إقليم السنجق يعرف عن هذا الشعب أنه مجاهد محب للجهاد والقتال دفاعا عن الدين، لذلك يجيء د. سليمان - كقيادة - ترجمة حقيقية لواقع رجل الشارع البسيط.

حول تقييمه للموقف الأوروبي والغربي عامة من قضية البوسنة والهرسك يقول: «نعرف أن أوروبا والغرب عموما يرمون إلى عدم تمكين المسلمين من تكوين دولة خاصة بهم في مناطقهم، الأكثر من ذلك أن هناك نية لإبادتهم وإزالة وجودهم من يوغوسلافيا السابقة، ونعرف أن الصرب اليوم لهم دولة والكروات لهم دولة، لكن المسلمين يعانون الأمرين من أجل خروج مشروع دولتهم إلى الواقع سليما معافى، التأثير للانتباه أن المجموعة الأوروبية وغيرها تدعو عمليا إلى تقسيم البوسنة حسب الوحدات القومية لنسف أي محاولة لإيجاد كيان مستقل وقوي للمسلمين».

● واختياركم في إطار هذا التحليل؟

● ● ليس أمامنا سوى أن نحرر ونحافظ على أراضي المسلمين الثابتة لهم تاريخيا قبل اندلاع الحرب. علينا باللجوء إلى القوة لنفرض حلنا القائم على الحق والمشروعية، الغرب - من جهة - بعد إسقاط الشيوعية يهدف إلى إضعاف المسلمين وإسقاطهم، ودرس القرن العشرين والقرون الماضية تؤكد أن القوة مفتاح الحصول على الحقوق المشروعة واكتساب الآخرين.

● تشترط أوروبا عدم أحداث أي تغيير في الحدود الداخلية للدول كشرط للاعتراف بها، الأمر الذي جرى تطبيقه في حالة الاعتراف بالبوسنة والهرسك، كيف يمكن الموازنة بين ذلك الوضع والطموحات الرائجة في السنجق حول وحدة مناطق المسلمين في يوغوسلافيا السابقة، أقصد بذلك البوسنة والهرسك والسنجق وكوسوفو؟

● ● أمامنا خطوتان في هذا المجال:

الاولى : استقلال الوحدات الثلاث، أي البوسنة والهرسك والسنجق وكوسوفو.

الثانية: العمل الدؤوب لتحقيق الوحدة وتأسيس دولة واحدة للمسلمين في المنطقة. بدأنا عملنا مبكرا في السنجق عن بقية أشقائنا، أجرينا الاستفتاء الشعبي العام قبل حوالي عام، صوت الشعب لصالح الاستقلال، لم نشأ استكمال بقية المراحل الدستورية كي لا نضر أو نسيء للتجربة

البوسنوية الرامية آنذاك الى اعلان الدولة المستقلة، فنحن لا نريد القيام بأى تصرف يضر بسراييفو في المحافل الدولية، يعنينا استقرار البوسنة والهرسك في المقام الاول ثم نأتى نحن في المرحلة التالية.

● يفهم من ذلك انكم تنظرون للبوسنة والهرسك باعتبارها الدولة الأم؟

● ● بالضبط. البوسنة بالنسبة لنا هي الدولة الأم، لذا نحرص على تعزيز الاعتراف الدولى بالبوسنة من خلال ضبط حركتنا، ونفهم - في الوقت نفسه - أن الغرب لن يتحمس أو يوافق على خطوة تدعم مصالح المسلمين، بين الطموح والواقع نكافح للابقاء على البوسنة ضمن حدودها المعترف بها دوليا كجمهورية مستقلة ذات سيادة دون أن نحملها عبء حركتنا سواء في السنجق أو كوسوفو.

● تقدم كوسوفو نفسها للعالم بطرح قومى علمانى، الا يتعارض ذلك مع ما تذهب إليه من طرح اسلامى؟

● ● فكرة اقامة الوحدة بيننا قائمة وسنحققها باذن الله تعالى، لكنى اؤكد مرة اخرى ان الغرب يبذل قصارى جهده ليمنعها، لذلك اخواننا في كوسوفو يدعون لتأسيس دولة قومية علمانية خاصة بهم، يدركون تماما ان هذا التناول يفتح الطريق امام تأييد غربى لمطالبهم، نحن في السنجق طالبنا منذ اليوم الاول باقامة دولة اسلامية، لم تلق اى تأييد من الغرب، على العكس منا، تجد البوسنة وكوسوفو موافقة مبدئية من الغرب لانهما قدمتا انفسهما على ارضية علمانية، الشعب الكوسوفوى توجد لديه رغبة عميقة في توحيد المناطق الثلاث على اساس اسلامى، اننى على ثقة من ذلك، هناك - اذن - فارق في التعاطى الخارجى الرسمى، والواقع الداخلى الفعلى يتزامن مع تفاؤل باقامة الدولة الاسلامية الواحدة في نهاية المطاف.

● والمطلوب من العالم الاسلامى؟

● ● على العالم الاسلامى ان يقوم بدوره مع الغرب.

● كيف ذلك؟

● ● عبر طرح السؤال الرئيسى.. هل الغرب مستعد لتأييد شعب مسلم كالسنجق ينادى بدولة مسلمة؟ هل سيسحب دعمه في حال اصرار ابناء المنطقة على تبني الاسلام نظاما سياسيا! المواقف ستتكشف من خلال الاجابة التى ستفرز العدو من الصديق دون لبس، لو وظف العالم الاسلامى ثقله السياسى والاقتصادى معنا لامكن تحقيق الكثير.

● هكذا تقود الحوار الى مأزق، إذ كيف يمكن التوفيق بين البوسنة الثلاثية القومية والطرح الاسلامى للدولة؟

● ● لو تتبعنا موقف المجموعة الاوروبية لامكن فهم الامر على نحو افضل، فالمجموعة اعترفت بالبوسنة كدولة مستقلة بشروط عدة من بينها التقسيم الى ثلاث وحدات قومية للمسلمين والكروات والصرب، لذلك يوجهون الدعوة الى على عزت بيجوفيتش لحضور اجتماعات بحث المشكلة بصفتها رئيسا للمسلمين وليس كرئيس للجمهورية البوسنوية، الغرب يريد ضرب

شاهد على مأساة البوسنة

٦٠

المسلمين وإزالة وجودهم من المنطقة عبر التوقيع على قرار التقسيم لو لم تستقل البوسنة - فعليا - كدولة قوية ذات أغلبية مسلمة تمثل الخاصية الطبيعية لمسلمي شبه جزيرة البلقان، لصاع هؤلاء المسلمون، لهذا أرى أن أي سياسى لا يملك الحق في التوقيع على قرار التقسيم، وحتى مع التوقيع، يظل أي اتفاق غير شرعى لأنه ضد رغبة عموم المسلمين بالجمهورية.

● يرى البعض ويتحسس ملامح المحنة وسط الاجواء التي تعيشونها؟

●● حالنا هذا ابتلاء من الله عز وجل، كما هو تكريم منه جل شأنه، لقد اضطرنا الظرف الحال الى التحرك لنقرر مصيرنا والتعامل مع الاحداث بواقعية تأخذ بعين الاعتبار ما يحدث فعلا على الارض، وليس ما يتمناه لنا الآخرون، علينا بالقتال والمحافظة على وجود المسلمين وحياتهم بالقوة، لا بد من الجهاد للبقاء على المسلمين احياء بمواجهة دس عدوان الصرب والجبل الاسود (مونتيجرو)، اذا امكننا تحقيق ذلك، فالمستقبل يحتمل - إن شاء الله - توحيد المسلمين بدون حرب بالاستفادة من المصالح الاقتصادية التي اثبتت تجربة العالم اليوم جدواها كعامل توحيد، لم نحافظ على كياننا وقوتنا وطورنا قدراتنا ووثقنا علاقاتنا بالعالم الاسلامي، سيتم تقاربنا معه بشكل طبيعي جدا دون أي مشكلة، ويمقدورنا تحقيق طفرة في علاقاتنا مع العالم الاسلامي، ربما بعد اشهر قليلة من إعادة ترتيب البيت من الداخل عقب رد العدوان.

● مذابح البوسنة التي يرتكبها الصرب قابلة للتكرار عندهم؟

●● المذبحة التي وقعت وتقع في البوسنة لن تحدث ابدا في السنجق إن شاء الله، نعم نحن محتلون من قبل القوات الصربية التي يصل قوامها الى حوالي ٢٠ ألف فرد مزودين بأحدث الاسلحة الثقيلة فضلا عن سلاح الطيران، تؤكد للجميع انه لو اندلع القتال في السنجق، فلن يستمر اكثر من ٤٨ ساعة، شعب السنجق لن يسمح ابدا بذبحة وقتله، هذا مستحيل.

● لكن السنجق شعب اعزل من السلاح؟

●● ببساطة، سنتبع الاسباب ونرتب انفسنا لمواجهة المعركة، مجرد سؤال عن احتمال وقوع مذبحة عندنا على يد الصرب يجرحنى ويزعجنى جدا، انا لا اعترف بذلك، فالمذبحة يجب ألا تقع في صفوف المسلمين، الذي يسمح للآخر بأن يذبحه، لم يقاتل ولم يجاهد، ينقصه الايمان القوى، تؤكد - من جديد - ان شعبنا لن يسمح بذلك ابدا، يمكن للصرب ان يدمروا قرانا بقصفها من البعد باستخدام السلاح الثقيل، اما ان يأتوا ويذبحوا المسلمين، فذلك أمر غير ممكن.

(التقاطعات والصدمات)

المفصل التاريخي الحاسم الذي تمر به جمهورية البوسنة والهرسك مليء بالتقاطعات والصدمات التي جلبت عليها عبر مئات السنين معاناة شديدة اعلاها الإبادة الجماعية وادناها مصادرة الحرية الشخصية. ويحتم الواقع علينا النظر الى العدوان الصربي على سراييفو وسائر المدن البوسنوية مراعاة ذلك السياق التاريخي الذي يشهد بما لا يدع مجالا للشك ان اعتناق شعب هذا البلد افرز تباينا ومفارقة وصراعاً مستمراً مع الجيران سواء في بلجراد ام في زغرب. كثيراً ما التقت العاصمتان دفعة واحدة على مبدأ العدوان باتجاه سراييفو، وأحياناً ما تفترقان مثلما هو

الحال اليوم. ● في كل الأحوال تبقى سرايفو طرفاً يتلقى السهام من غريمين أحياناً أو غريم واحد أحياناً أخرى. سرايفو الجريحة يعرفها البلقان بأنها أهم رمز عثمانى أوروبي متبق بعد انهيار الخلافة العثمانية. يعرفها البلقان أيضاً أهم رمز بمساجدها وأمثتها ومدارسها وكذلك بروحها وهويتها. لذلك تعتبر أدبيات الدولة المظلة على البلقان ومن بينها صربيا، كلمة تركي مرادفاً لمسلم ومسلم مرادفاً لتركي.

● أعلن القائد الانفصالي الكرواتي البوسنوي مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك في الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقاً لخبر بثته إذاعة سرايفو.

الجحيم الذي تنصب حممه كل يوم على سرايفو وعلى بقية أجزاء الجمهورية يحمل في طياته عداء لهذا التاريخ وتلك الهوية المطلوب القضاء عليها أو على الأقل الإبقاء عليها بدون روح. وبالتالي تصبح المصادرة بقوة السلاح عقيدة صربية مشروعة يمكن معها فهم طريقة المعالجة لذلك السعار المنطلق من فوهات مواسير مدافع رابع أقوى جيش في أوروبا، ومقاومة قوامها قوات الشرطة البوسنية ذات التسليح الخفيف.. جداً.

البوسنة والهرسك تعيش حالة سياسية وعسكرية تستدعى إجراء عملية فصل وتمييز لعناصر الازمة لتتحول عند الرؤية المستحكمة الى صورة واضحة يقل فيها الغموض الى حد كبير. الحرب التي تشنها صربيا بقيادة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش توصف بالجنون. وهي كذلك من حيث الحجم والكيفية، في ظل عزوف اوروبي دولي يكتمل معه الهدف الرئيسي وهو تحجيم محاولة انبعاث شعب يبحث عن هويته ليعود للجذور على عكس تجربة اخرى قريبة جداً.. تجربة البانيا التي رفعت الاعلام الغربية مع سقوط الشيوعية. دوى القذائف ونيران الحرائق ودخان القصف يجب الا يصرنا عن النظر الى البعيد.. الى ما بعد المعارك. مستقبل البوسنة والهرسك التي تتمتع بمزايا عدة لتقديم بديل حضارى في قلب أوروبا. لكن بعض المحللين ينظرون بعيداً الى أسيا حيث تجربة افغانستان في ظل سيادة المجاهدين. يرى هؤلاء ان التركيبة العرقية يمكن ان تدمر مشروعا وحدونيا يحلم به البعض وقوامه كرسوفو والسنجق والبوسنة. اضافة الى ذلك اى مصير

ينتظر الجمهورية المستقلة التي عمد الصرب الى تحطيم بنيتها الاساسية. الواقع الاقتصادي المتردى سيفتح بطبيعة الحال باب المساعدات المشروطة الكفيلة يخنق المشروع الذي تحلم به قيادة واعية لشعب يمثل المسلمين فيه اغلبية نسبية وليست مطلقة.

كل هذه التصورات لا يمكن استيعاب مضامينها الا عبر المواجهة البوسنوية - الصربية. لذلك جاء الاختيار بالتوجه الى جبهة الحرب حيث قمت بجولة ميدانية في مدينة بوسانسكى برود المحررة. الرحلة بدأت من المركز الاسلامى في زغرب. سيارة مدنية يقودها **أرمين بوهارا**. صحفى.. رسام.. شاعر



* أرمين بوهارا

● أعلن القائد الانفصالي الكرواتي البوسنوي مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك في الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقاً لخبر بثته إذاعة سرايفو.

شاهد على مأساة البوسنة

ومقاتل يرتدى بزة عسكرية وحذاء رياضيًا. لا يحمل أى رتب شأن كافة المقاتلين المسلمين والكروات. خجول.. قليل الكلام الى حد يثير الضجر.. ودود شديد الادب وايضا نائب قائد جبهة بوسانسكى برود. تتوقف السيارة بعد نحو ثلاث ساعات لنحتسى الشاي في مقهى على الطريق. نستأنف الرحلة لتبدأ مظاهر الحرب على مدى حوالى ساعة ونصف واضحة للعيان. الحواجز الامنية للشرطة والجيش الكرواتى. كان على المقاتل البوسنوى بوهارى ان يبرز تصريح المرور كل مرة مع سماع بعض الارشادات الجديدة احيانا وتحويل الطريق الى طرق اخرى فرعية احيانا اخرى. لم يعد بإمكان المرافق الثانى المقاتل سليمان سالشينوفتش ان يضع شريطا للناشيد البوسنوية الاسلامية في مسجل السيارة. الوقت ازف واصبحنا على بعد دقائق من المدينة التي شهدت معارك ضارية انسحب على اثرها الصرب. آخر الحدود الكرواتية تحتضنها مدينة سلافونسكى برود التي تفصلها عن بوسانسكى برود كوبرى «برتستسقا ياديننسقا». هذا الكوبرى هو الوحيد الذى يربط الان بين البوسنة وكرواتيا. من مفارقات القدر ان اسمه يعنى «الاخوة والاتحاد» اخوة واتحاد شعوب يوغوسلافيا التي قضى جوزيف بروز تيتو معظم حياته ليحولها الى واقع سرعان ما تلاشى كالدخان بعد وفاته بسنوات قليلة.

نودع كرواتيا بعد منتصف الكوبرى. يهدىء بوهارا من سرعة السيارة ويشير الى آثار قصف جوى لارض الكوبرى في محاولة صربية لتحطيم آخر معبر بين الجمهوريتين. ابرز المذابح التي عرفتھا المدينة قبل التحرير وقعت في قرية جورنيا كوليبا وتبعد حوالى ١٠ كيلومترات عن بوسانسكى برود راح ضحيتها ١٦ مسلما منهم ٤ كروات. عندما اندلعت المعارك اثبت المسلمون مهارة قتالية عالية وصلابة حقيقية تخطت نتائجها واقعهم كاقليية نسبتها ١٥٪ فيما يشكل الكروات ٤٢٪. الوجود الاسلامى القتالى واثره في المعارك يمثل نحو ٥٠٪ من المجهود الحربى. القرى هنا لا تعرف اندماجا حقيقيا. فهذه قرية مسلمة وتلك كرواتية.. وهكذا على طول الطريق. قرية «كراتشا» كرواتية شهدت يوم المعركة الحاسمة واقعة يرويها قائدها الكرواتى الذى يؤكد ان المسلمين تقدموا الى صفوف الكروات الذين تمكنوا بواسطة هذه المساعدة من طرد الصرب.

خطوات قليلة

في مدخل المدينة هبطنا من السيارة. خطوات قليلة وتطلق المدفعية الصربية قذيفتين سقطتا على مسافة غير بعيدة. اخذنا المرافقون على عجل الى داخل احد المطاعم القليلة التي لا تزال تعمل في مدينة خارجه لتوها من تحت يد بلجراد. شعور المرافقين بمعنى سقوط قذيفة.. احساسهم بحكايات الموت اليومية التي يرونها رأى العين يجعلهم اكثر استجابة للحدث من الضيف الذى لم تصبح الحرب جزءا معتادا من حياته اليومية. ست ساعات هي عمر الجولة سقطت خلالها عشر قذائف. اكدت المصادر العسكرية البوسنوية لاحقا ان القصف كان مقصودا لذاته، لان الصرب يعتمدون الى مهاجمة أى شخص غريب يدخل الجبهة من اجل احكام عملية الحصار والتعقيم الاعلامى وعزل البوسنة عن العالم الخارجى. داخل المطعم الذى يتحول الى ملجأ وقت القصف التفتت ببكر فيرشا يحمل وجهه قسمات العسكرية المنضبط. تماما كما رفيقه يوهارا. قليل الكلام.. هادىء، ابتسامة خجولة.. ادب جم.. يتكلم الانجليزية بطلاقة على غير عادة الشعوب

الرحلة الثانية

٦٣

اليوغوسلافية «سابقا». في البدء لم اكتشف جيدا ملامحه مع الوقت اعتدت حالة ما بين ضوء الشمس والعمّة. تبادلنا الحديث على غير موعد. اكتشفت قليلا وعلى عجل قصته التي تحمل اكثر من معنى.. بكر من كوسوفو التي كانت تتبع الى وقت قليل «قبل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية» جمهورية صربيا. ابتعثته بلجراد في دورة تدريبية عسكرية بهولندا. قطع البعثة وانضم الى ابناء البوسنة في جهاد مشروع. يرجح اشتعال الحرب في كوسوفو واقليم السنجق بمواجهة الصرب.

الضابط الكوسوفوى كافر بصربيا مؤمن بجهاد البوسنة يتحدث بخجل شديد عما تم انجازه في الجبهة. انسحب الصرب وخلفوا وراءهم الكثير من الاسلحة الثقيلة. لكنه يشكو من الشكوى من قلة ما لدى المقاتلين من سلاح ثقيل عموما. فالغنائم لا تفي بحجم الارض المكتسبة يوما بعد يوم فتعجز عن سداد الاحتياجات الميدانية. هذا هو كل مطلبه ! اسأله عن قوة المراس التي يذكرونها عن الميليشيات الصربية «التشيتيك». يفاجئني بالاجابة «نحن وهم كما الفلسطينى واليهودى. نحن اصحاب قضية وهم بلا قضية. هذه هي الخلاصة. يقفز فوق الاجابة.. يذهلنى قوله «البوسنى والفلسطينى يحاربان باسم الله. انا هنا في الجبهة البوسنوية وفلسطين في قلبى. اعتزم القتال ضد «اسرائيل» فور انتهاء من الحرب ضد الصرب».

عودة مرة اخرى الى رفيق الرحلة نائب القائد الذى نشر له ديوانان من الشعر البوسنوى. يشير في الطريق الى واحد من اكبر مراكز تكرير البترول في جمهوريات يوغوسلافيا «السابقة». دمر الصرب ٢٨ مصفاة وبقيت ٤٠ بعيدة عن الدمار. يستعرض بوهارا بعض احدث الانجازات، فقد تم تحرير مدينة تقع على بعد حوالى ٣٥ كيلومترا من بوسانسكى برود رغم قلة العدة والعتاد. قرية سايكوفاتس ذات الاغلبية المسلمة حققت انجازا ابرز ما فيه مشاركة الاقلية الكرواتية وايضا الصربية ضد القوات الصربية. شباب القرية بعد تحريرها تقدم الى الخط الاول من الجبهة ويحكم الحصار في منطقة حول القوات الصربية. تتواصل الحوارات وتقطعها احيانا احدى القذائف الصربية العشر. ندخل معسكرا حريبا خلفه الصرب وراءهم وملتقى بالقائد شاوشوفيتش نياز. كأن المعارك حفرت قسما وجهه الذى يطلق الابتسامة على استحياء. طوال الجلسة لم يقل سوى عبارتين: «حيث يوجد مسلم توجد البوسنة» تأكيدا على حقائق الجغرافيا والتاريخ وقرار الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية المستقلة. مثله مثل بوهارا وفيوشا، يئن بالشكوى من قلة السلاح الثقيل والخفيف ايضا «في جبهة نوجافوتسا — على سبيل المثال — يوجد ٢٠٠٠ مقاتل و١٠٦ كلاشنكوف فقط». هذه كانت عبارته الثانية، لان الحرب قد تطول لسنوات وليس لاشهر قليلة. يؤمن جميع من التقيت بهم بأن امامهم اختياراتين «اما الحياة بكرامة او الشهادة».

نائب رئيس حزب العمل الديمقراطى «الاسلامى» بالمدينة المهندس جواد هوسجيتش يقدر احتياجات البوسنة والهرسك بمواجهة الصرب بما يتراوح بين ١٥ و ٢٠ مليار دولار. في غرفة الاجتماعات بالمعسكر تسود قناعة بين الحضور بأن هناك تقدما بوسنويا يوميا على حساب الصرب في ارض المعارك. يتمنون على الله الوصول الى مشارف سرايفو ليفكوا الحصار عنها. قبل انتهاء الجلسة يتقدم مدنى بوسنوى الى احد العسكريين يتحدث اليه همسا، فيوافقه الاخير. لذلك تمتد الجلسة قليلا لنستمع لاغنية بوسنوية يبدو انها من نتائج الاستقلال والجهاد وارواح الشهداء. تقول كلمات الاغنية:

شاهد على مأساة البوسنة

الله اكبر
يقولها قلبي الان وانا حر
يقولها قلبي الان وانا صائم
هذه الكلمات
يقولها مؤمن لربه الذى وهبه الحياة
اقول لا اله الا الله وانا حر
اقول الله اكبر وانا اصوم رمضان
اقول لا اله الا الله وانا احتفل بالعيد
الله اكبر

فانا دائما اناجى الله
ولا اخفى اننى ابن هذا الدين
النشاط اليومى

الجولة ضمت وفدا من هيئة الاعمال الخيرية بالامارات حرص على الزيارة الميدانية للتعرف على الحاجات الاغاثية والانسانية. فمدينة مثل بوسانسكى برود عمدت قيادتها العسكرية الى اعادة سكانها اليها والنشاط اليومى الى ارجائها. اضافة الى ذلك هناك ٢٥ الف مهاجر تستضيفهم المدينة من داخل البوسنة. يذكر لشباب الامارات رغبة حقيقية للانتقال الى الخط الاول للمعارك لم يوافق عليها العسكريون لاعتبارات امنية مفهومة. ملاحظة اخرى تتعلق بحرص بعض اعضاء الوفد على ارتداء الزى الوطنى. اللافت للنظر ان مجرد رؤية «الدشداشة والعقال» لدى البوسنويين يترك اثرا نفسيا ومعنويا لا يدركه الا من انقطع عن الاتصال بالعالم الاسلامى لعشرات السنين ليفاجأ بعد كل ذلك ان الاصول تعود اليه واين.. فى جبهة الحرب؟ تتواصل الجولة خروجا من المدينة بالسيارة مروراً بطريق ريفى ضيق تتناثر على جانبيه القرى المسلمة والكرواتية واحيانا القرى المشتركة بين السكان المحليين من الجانبين. يسهل التعرف على هوية القرى من خلال وجود المسجد او الكنيسة. تتوقف السيارة لتبادل التحية مع المقاتلين ويتجه الى دبابة «تي - ٥٥» دمرها البوسنويون بجوار احدى الكنائس. الحريق الذى لف الدبابة قبل انسحاب افرادها الصرب يترك آثاره على هيكلها المتبقى بلون اسود متفحم وبقايا طلقات رشاش فارغة. حطام ورائحة دمار ومعارك طاحنة تلف نسمة ريفية بدأت تستنشق حالة سلام وقليل من الامان. حيثما نذهب تنتشر قوة حراسة مدججة بالسلاح حتى اسنانها بين الخرائب المتبقية ووسط حشائش برية لم يجد العائدون الوقت الكافى لاقتلاعها. مخاوف يتحسب لها الامن المشرف على جبهة بوسانسكى برود من عملية تسلل صربية واختراق للدفاعات البوسنية.

الدخول الى قلب كنيسة كاثوليكية مهيضة الجناح مهشمة الاطراف يكشف لغة الحرب وقاموسها القاسى. دقائق عدة بداخلها تؤكد تلك الحقيقة اشلاء الاشياء وبقايا التجهيزات ورموز مسيحية محطمة. استدبر خارجا. قرب المدخل تشتكى الى ام كرواتية بزيها الاسود الشائع هنا. يشير المرافق بأنها فقدت ابنها في الحرب ضد الصرب. اتكلم معها عبر مترجم. شكواها من قسوة الصرب جاءت بدموع لفت عينيها وسنوات عمرها التى تخطت الستين. يجلنى وايها الصمت ولا شىء غير ذلك. يقول البوسنيون ان صربيا اطلقت اشرا را من السجون المدنية في حالة سعار بشرى لينضموا الى صفوف جيشها المحارب في البوسنة. تجيء الافعال من جنس الفاعلين. احوال تقطيع الرقاب وهتك الاعراض والتنكيل حظى المسلمون بالنصيب الاوفر منها لاسباب دينية تاريخية يحفظها الصرب عن ظهر قلب. من الكنيسة الى المسجد اتجه. مئذنة حزينه منكسرة مبتورة الهامة بفعل قصف صربى اطاح بقمتها، ليعود علم بوسنوى يشد من ازرها بعد ان رفعه المجاهدون اعلاها. محصلة الخسائر الصربية في بوسانسكى برود والقرى المحررة، اسقاط ٧ طائرات ما بين «ميج ٢١» و«ميج ٢٩» وتدمير ٤٦ دبابة واسر ٥٤ دبابة بحالة سليمة. تقع المدينة على مسافة ٢٣٠ كيلومترا من سراييفو، وتمتد جبهتها بعمق ٢٨ كيلومترا توجد بعدها القوات الصربية. يتمنى القادة الميدانيون نيل شرف فك حصار العاصمة البوسنوية. يؤكدون مرة اخرى الحاجة الشديدة للسلاح. بمختلف انواعه لتحقيق هذا الهدف الذى يرونه «سهل التحقيق بمواجهة جيش يفتقد الايمان على حد قول قائد بوسنوى. يؤكدون كذلك على دور العالم الاسلامى في هذا المجال.

معركة عنيفة يذكرها الجميع تلك وقعت في قرية دوزنى كوليد، قتال استمر عشرة ايام من شارع الى شارع، ومن بيت الى بيت ومن حقل الى حقل اسفر عن اقتلاع جذور القوات الصربية.. يروى احد المقاتلين بعضا من ذكريات القتال الضارى الذى شهده الطريق السريع عند اول المدينة من ناحية الحدود الكرواتية. عشرة امتار فقط كانت تفصل بين المتحاربين. حدث ذلك في شهر ابريل لتبدأ انهيارات الدفاعات الصربية. عند العودة اشهد حريقا داخل احد البيوت. يندفع اللهب والسنته وسط طبيعة يكسوها اللون الاخضر. مشهد يحمل الكثير من التناقضات. حرب وسلام. سيادة دولة ومطالب لدولة اجنبية. نزاع تاريخى بين البوسنة وصربيا.

حالة استغاثة

القرويون المحاصرون بالنسيان يهرعون الى الطريق. يخرجون من البيوت بمجرد وصول اى اجنبى. حالة استغاثة مرسومة على الوجوه. يكفى ان يعرفوا في القرى المسلمة ان الزائر مسلم لتنسب بغفوية مؤثرة التعبيرات الاسلامية مثل السلام عليكم و«الله امانت» وهو تعبير بوسنوى شائع عند الدواع يعنى «في امان الله». المساجد هنا منتشرة تتواجد بعناد ملحوظ لقانون التعصب والجاهلية. تتناثر كزهور في حديقة بوسنوية. يتنامى عددها ويتزايد بمواجهة عملية خنق منظمة في صربيا للمسلمين ومساجدهم في بلجراد وحدها تراجع عدد المساجد من ١٨٠ مسجدا خلفها

شاهد على مأساة البوسنة

العثمانيون وراءهم الى مسجد وحد فقط. الاجتياح الصربي لقرى المسلمين ومدنهم يعنى ارتكاب فظائع حقيقية داخل المساجد وامام الناس امعانا في التنقيص عن احقاد قديمة متجددة. الاهانة المنتظمة لحرمة المسجد والتخريب العاقل المدرك لابعاد الفعل يشهد على ذلك. اختيار المسجد مكانا لارتكاب جرائم وايام عيد الفطر لشن الحرب على البوسنة لم يمرا على المحللين دون فهم الرسالة الكامنة في قلب العدوان الصربي.

قبل مغادرة المدينة وبدء رحلة العودة مرة اخرى على مدى اربع ساعات ونصف الساعة، تستضيفنا اسرة بوسنوية. خليط ما بين روح الاسلام وعاطفة جياشة وحالات جهل صارخة بالدين. حين يسأل عن ذلك ضيف مسلم تجيء الاجابة سريعة «نسيتمونا نحو سبعين عاما. تركتمونا جزيرة معزولة في وسط اوروبي معاكس بكل ما لديه من نظم وقيم». لكن بشائر التحول واستعادة الذات تنبعث من جديد حتى وسط اتون الحرب. راسم زاهروفيتش امام المدينة. التي تضم حوالى ٢٠٠٠ مسلم، يتحدث العربية الفصحى وتخرج من قسم الصحافة بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر. يحين وقت الصلاة يقودنا الى مسجد صغير يحتل الطابق الثانى لاحد الاسواق. يتقدم ابنه البالغ من العمر ست سنوات، يؤذن للصلاة ثم يقيمها. يؤمنا الاب. بعد الصلاة استكشف في وجهه ملامح الفخر بصغيره، اشعر انه يقدمه هدية والتفاتة الى الضمير العربى الزائر لجبهة الحرب. يؤكد بذلك السلوك البسيط العابر ان البوسنويين شعب له جهاداته عبر تاريخ يزيد عن خمسمائة عام.

يحل الظلام وتبدو بعض الاضواء الخافتة التي تحجبها ستائر النوافذ والاصباغ الداكنة. المرور في شوارع بوسانسكى برود ليلا يحمل مشاعر الترقب والاصرار ورغبة حقيقية في جهاد ماض ضد صربيا حتى تقبل سيادة الدولة العائدة الى احضان تاريخها. لاتزال في الذاكرة قذيفة اطلقتها المدفعية الصربية موجهة الينا قبل ان تغادر الشمس سماء المدينة لتنبه الجميع الى ان البوسنة ارض حرام على الغرباء. كانت القذيفة العاشرة والاخيرة واسفرت مثل غيرها عن خسائر مادية وسحب من الدخان الكثيف. تمضى عجلة الحياة والجهاد وعمليات الاختراق اليومي التي يقوم بها (الكوماندوز) البوسنويون خلف الخطوط الصربية. ونمضى نحن عائدین الى زغرب حيث الواقع السياسى البوسنوى مخيم على كل شىء في كرواتيا. في الطريق اتحسس بعض مقتنيات الرحلة التي حملتها معى. طلاقات فارغة. بطاقة عمالية تابعة للحزب الشيوعى اليوغوسلافى ملقاة باهمال على ارض الجبهة في اشارة بالغة لمرحلة جديدة من تاريخ البوسنة والهرسك التي ادارت ظهرها اخيرا لنظام حاصر بشكل متعسف هويتها وتاريخها. ايضا اقلب سترة ميدانية لمقاتل صربى لا يعلم احد ان كان عاد سالما ام قتل في الجبهة. تختلط ببقايا من تراب وبلل اصابها من ارض المخبأ الذى اوام زما قبل أن يأتى ضيف مثلى ليحتفظ بها. رحلة العودة كانت فرصة طيبة لاسترجع وجوها بوسنوية تشارك في المعارك كل على طريقته.

زهدى عادلوفيتش. طالب في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. يستهل كلامه مع العرب عادة بأنه من اصل مصرى جاء اجداده منذ اكثر من ٣٠٠ سنة من مدينة طنطا ليحاربوا مع الجيش العثمانى في اوروبا ثم استقروا في بلغاريا ومنها نزحوا الى البوسنة. لم تنسه الحرب ولم تفقده

المأساة بعد الطرائف القاهرية، حيث امضى عاما في العاصمة المصرية يتعلم العربية في جامعة الازهر. عثر هو وزملاؤه على شقة في الزمالك. لكن ذلك لم يمنعه من الاتجاه الى الاحياء الشعبية المجاورة مثل الكيت كات وامبابة لشراء الطعام بأسعار رخيصة. يروى لي ضاحكا التعليق الذى اعتاد الباعة ترديده له عندما يعلمون بحكاية السكن والطعام.. «يعنى تسكنوا في الغالي وتاكلوا بالرخيص». دقائق قليلة يخرج بها من اجواء الحرب، يستعيد الواقع سريعا ويقول بعربية فصحي يتقنها ربما بأفضل من راسم زاهر وفيتش «ليس امامنا خيار سوى الجهاد. الحل السلمي ستحقق للصرب اطماعهم في بلادنا».

مثقفون وآخرون

يندر رؤية شاب بوسنوى خارج الجبهة. وجوده في كرواتيا لغير مهمة، مدعاة للخجل لانه يستوى في ذلك مع الاطفال والنساء والكهول. شباب كثيرون مهاجرون في اوربا عادوا للوطن عند اندلاع المعارك. عمال.. مثقفون وآخرون احد العمال البسطاء احضر معه حوالى ٤٠ الف مارك كل حصيلة الغربة والعمل في المانيا ووضعها تحت تصرف قيادة بلاده. نموذج من نماذج اخرى كثيرة. مصطفى بشير وفيتش يتولى مهمة نقل السلاح الى الداخل. سيارة محملة بالقذائف والذخائر باشكالها وقطع السلاح باحجامها المتنوعة بسيارة محملة بالموت عبر طريق يمر باحتمالات الموت في اى لحظة!! عن كوسوفو التي تضم ٢,٢ نسمة من بينهم ٩٥٪ مسلمون يقول: «الف قناص صربى في العاصمة بريشتينا وحدها. الاسلام مطلوب رأسه على المذبح الصربى، هكذا يقول بتأثر شديد».

يوصل مصطفى متحدثا بتأثر باد عن مردود زيارة الوفود الشعبية العربية: «ترفع معنويات الجميع. نشعر اننا لنسا وحدنا». يؤكد كالاتي غيره «نحن بحاجة للسلاح». يقدم لنا اسرته المكونة من الزوجة وابناء. يتقدم الطفل الصغير منا على استحياء. يكلمه ابوه بلغته البوسنوية، فيردد الصغير «السلام عليكم» زهدى ماكيثش التقيته في سبليت المدينة الساحلية الكرواتية يحمل معه عبق الجبهة المعطر. قادم لتوه من جبهة مدينتى ترافيك ويايتشا. مكث ومجاهدون ثلاثة داخل احد الخنادق ستة ايام كاملة تحت المطر. تموينهم اليومى رغيف خبز واحد. جاء الى «مرحمت» الهلال الاحمر البوسنوى ليحصل على برميل نفط وبعض الغذاء.. نقص في السلاح والنفط والغذاء، غير ان هذه الروح يصعب ان ينال منها اهمال الاشقاء والاصدقاء لهم.

محمد بن عمر شاب آخر عاد من المانيا. يرتدى الزى البوسنوى الشعبى. اتى ليقا تل وينتظم في احدى الكتائب وتحقيق حلمه دفاعا عن الدين الذى يرا د اجتثاثه من فوق الارض البوسنية بشهادة صمت دولية تزينها بعض القرارات وصيحات الاستنكار. الوضع العسكرى يشير الى تفوق اعداد المقاتلين على السلاح المتوافر. يحدث احيانا ان تأتى مجموعة من الشباب الى مراكز الاتصال البوسنوية في كرواتيا للحصول على السلاح والانخراط في صفوف المقاتلين، فيتم الاعتذار لهم نظرا لندرة السلاح. قيادات بوسنوية عديدة تبدى غضبها لهذا الحال. لكن الاكثر ايلاما هو التخبط السائد في الجبهة نظرا لافتقاد عنصر التنسيق اللازم ونظرة الدفاع الضيقة عن كل وحدة على حدة دون التحول الى الدفاع الشامل الذى يأخذ بعين الاعتبار مجمل العوامل الجغرافية والبشرية.

شاهد على مأساة البوسنة

يشير المراقبون الى تقطع اوصال القوات البوسنوية التي تم تشكيلها على نحو عفوى تحت دوى القنابل الصربية. تفتقر هذه القوات الى رؤية محترقة شاملة تلقها جميعا في نسق واحد يتمتع بخطط استراتيجية وخطوط تموين منتظمة. ادى تقوقع كل وحدة مقاومة على نفسها الى سهولة سريان الصرب في اوصال الجسد البوسنوى وحصار العديد من المدن مثل العاصمة سراييفو وتوزلا وروجاتيكا. كما مكن هذا الوضع فضلا عن توافر احتياطي ضخم من الذخائر ومصانع منتجة داخل صربيا الى انفراد الصرب - غالبا - بعنصر المبادرة عبر القصف المنظم مثلما يحدث مع مدن كورنچيك ومدستار وفوتشا وجورازدي ومودريكا وبوسانسكى ساماك وبوسانسكى برود. اما قائمة المدن المحتلة فتضم فيما تضم سانسكى موست وفيسجراد وسربرينكا وفلاسنيكا وبراتوناك وزفورنيك. الاحصائيات الرسمية * تدل ان المسلمين يشكلون نسبة ٤٢,٨٪ والصرب ٣١,٥٪ والكروات ١٧,٣٪. بعض التقديرات ترتفع بنسبة المسلمين الى ما يزيد عن ٥٠٪. حرص الرئيس علي عزت بيجوفيتش على علمانية الدولة كضريبة لازمة الى اوروبا والولايات المتحدة من اجل الحصول على الاعتراف الذى اعتمدته المجتمع الدولى لاحقا وتم قبول البوسنة مع كرواتيا وسلوفينيا اعضاء في منظمة الامم المتحدة في مايو الماضى. النزيف الدائر على اراضى البوسنة والهرسك يستهلك ٦٠ مليون دولار هى قيمة الخسائر اليومية، ويقدر الاجمالى في آخر احصائية بوسنوية منشورة بثمانية مليارات دولار.



* رادوفان كاراجيتش

رادوفان كاراجيتش زعيم الحزب الديمقراطي الصربى في البوسنة هو الوجه القبيح في الجمهورية المستقلة. حصان طروادة الذى يتخفى خلفه الرئيس الصربى سلوبودان ميلوسيفيتش. الاخير ينفذ يده في مسرحية هزلية من الاحداث زاعما ان بلجراد لا تتحكم في تحرك الصرب البوسنويين. تماما مثلما فعلت عندما سحبت قواتها تاركة العسكريين الصرب البوسنويين يعيشون في البوسنة فسادا باعتبار انهم من ابناء الجمهورية. رادوفان - وفقا لمصادر في زغرب - تلقى تدريباته على يد «الموساد» الاسرائيل. يتولى قيادة الميليشيات الصربية «التشنتيك». هذه التسمية اصبحت لافته عامة تضم تحتها كل المتطرفين الصرب. تنقسم قوات العدوان الى فلول الجيش الاتحادى «الصربى» وقوات الحزب المسماة بالصقور البيضاء. مذابح اليوم خاصة في المدن الواقعة على ضفاف نهر «درينا»، امتداد لمذابح الاربعينات التى مثل فيها بالمسلمين وراح ضحيتها عشرات الالاف. في احد معسكرات اللاجئين بمدينة سبليت يتقدم منى مسن بوسنوى ويطلعنى على صورة فوتوغرافية لضحايا الاربعينات. امرأتان احدهما مذبوحة من الرقبة والاخرى اقتطعت اجزاء من جسمها.

زاوية طائفية

اليوم يعلو صوت رادوفان وكأنه زعيم يتكلم باسم الجمهورية من زاوية طائفية محدثا شبه ازدواجية في القيادة مع رئيس الجمهورية المنتخب. هل هذا الموقف غير القانونى له اصدا

اوروبية؟ الواقع نعم. فقد تمت دعوة بيجوفيتش الى اجتماع لشبونة قبل احكام الحصار حول سرايفو من قبل المجموعة الاوروبية. نصت الدعوة انذاك على أن بيجوفيتش يحضر الاجتماع بوصفه رئيساً لمسلمي البوسنة. لا شك ان ذلك يحمل في باطنه تشكيكا او تحجima لمنصب الرئيس وافساح المجال للقائد الصربي، كذلك صدر تصريح عن مصدر اوروبي وقت اجتماعات لشبونة بعد بزوغ نجم الاجتياح الصربي نص على ان المفاوضات المقبلة «ستتم على اسس جديدة» استنادا الى سياسة الامر الواقع. مساوية الموقف تكشفه تحركات كرواتية في بعض مناطق جبهة الحرب. احدى المدن القريبة من سرايفو تتمتع باغلبية كرواتية ضئيلة على حساب المسلمين. وسط ضجيج المعارك تم اتخاذ عدة قرارات تثير الاستياء. سحب الاعتراف من القوات المسلمة النظامية التي تحارب كثفا الى كتف مع الكروات، وتم فرض نوع من الهيمنة الكرواتية على ارض واقع المدينة. كل هذه التحركات صربية كانت ام كرواتية ستقفز الى الحل الدبلوماسي عبر مائدة المفاوضات مستقبلا على طريقة افتراض الناقاة «الاسرائيلية» فوق الاراضي العربية. مدينة موستر نموذج آخر. اغلبية مسلمة ضئيلة يليها الكروات في العدد. حكومة زغرب تمد الاقلية الكرواتية بالسلاح والعتاد. مجهزة بطريقة جيدة دفعتها لاحكام السيطرة على مقاليد الامور داخل المدينة ليتحول المسلمون الى تابعين لها.

المحاولات التي تمت لاحقا أسفرت عن تأسيس لواء بوسنوي يتولى مهمة الدفاع عن مجمل اراضي البوسنة. يتمتع بحرية الحركة وفقا لمقتضيات المعركة. يجري العمل لتشكيل لواءين آخرين. القيادة الكرواتية متمثلة في الرئيس فرانيو توجمان تفتح كل الابواب ولا تغلقها. تتعاون مع المسلمين وتوفر لهم المأوى فوق اراضيها في موقف يستحق الاشادة. في الوقت نفسه تتباين القرارات على ارض المعركة ما بين تنسيق وبين محاولة وضع اليد على اكبر مساحة ممكنة تحسبا ليوم المفاوضات. اتفاق «جراتس» الذي تم خلاله اعلان نوع من التعاون بين الصرب والكروات البوسنويين تم بضوء اخضر من توجمان. هذا الاتفاق اسقط فيما بعد بفعل المعارضة الشعبية التي اكتوت بنار الحقد الصربي وشهدت على عمق التسامح الذي كرسته البوسنة عبر تاريخها.

توجمان الرئيس الكرواتي يعاني من اقتصاد منهك ونحو مليون مهاجر كرواتي وبوسنوي. لكن الاكثر صعوبة هو معاناته السياسية. اغلبية ظاهرة في الشارع تراه زعيما شيوعيا من بقايا نظام تيتو، تجاوزته المرحلة الحالية. اكثر من حوار مع رجل الشارع في زغرب يؤكد هذه الرؤية. في الوقت ذاته يتفق الجميع على تأجيل المواجهة مع توجمان الى حين انتهاء الحرب مع صربيا التي تحتل ثلث اراضي كرواتيا. زيارة مجاملة سريعة قمت بها الى فيسنا شكاية المتحدة الرسمية في رئاسة الجمهورية «بفيلاً زغربيا» تكشف ان شيئا من التغيير طرأ على الرئيس ولو على مستوى المظهر. لا يزال التمثال النصفى للزعيم اليوغوسلافي الكرواتي تيتو موجودا في الطابق الاول. ربما وفاء لذكرى الرجل الذي اعتاد النزول في هذا القصر عند زيارة زغرب. حشائش الحدائق الشاسعة

- تصريح من الشيخ شوقي عمر باشا رئيس لجنة الطوارئ لمساعدة البوسنة والهرسك
- هكذا ترى انطونيا كوكوت رئيسة الحزب الليبرالي المعارض في مدينة فراجدين بكرواتيا

شاهد على مأساة البوسنة

المحيطة بالقصر ما زالت تنمو بغير انتظام منذ ان رأيتها في المرة السابقة ١. يبدو ان الرئيس وإدارة القصر ادركوا تلك الهفوة فانتشرت مجموعة من الرجال والنساء لتشذيب الحدائق ولتعيد الى خارج القصر رونقه الاخضر المنتظم.

حدثت النكات ضد الرئيس اطلقها طالب جامعي معارض لسياسات توجمان حينما تهكم بقوله ان زغرب باتت مهددة مرة اخرى بالطائرات المعادية. يستنكر المستمع لان بلجراد لم تفعلها منذ مهاجمتها المقر الرئاسي الاصل في قلب العاصمة. يعود الطالب معلقا بسخرية «هذه المرة ستكون طائرة الرئيس». فقد تم شراء طائرة خاصة بالرئاسة مؤخرا. التصرف عادى في كل بلاد العالم الا كرواتيا التي يرى شعبها ان التضخم والبطالة لا يسمحان بمثل هذا «الترف». موظفة باحدى شركات الطيران تدين النظام بطريقة غير مباشرة تقول: «يهربون كل يوم للامام كل المشاكل وحولها مؤجلة باسم الحرب» نخاف من مرحلة ما بعد الحرب. ترى ان بلدها يساهم في استمرار الحرب. تقول «كل حرب لا تشتعل الا بطرفين». هذه حقيقة لكن ينقصها الاجابة عن سؤال «من المعتدى؟»

مؤسسة الرئاسة

الازمة في البوسنة تحمل طابعا اخر. حملة شديدة يشنها البعض على عدم التحسب لاندلاع الحرب. يفترض هذا البعض ان الرهان على السلام والحل الدبلوماسي لا يعنى ابدا اغفال الجانب العسكري. مؤسسة الرئاسة تعتبران التركيبة القومية الطائفية المعقدة حالت دون عسكرية الجمهورية على المستوى الرسمي لان هذه الخطوة في حينها لم تكن لتفسح المجال امام الخيار الدبلوماسي، فضلا عن تعجيلها بالصدام المسلح. الملاحظ ان هناك اجماعا شعبيا على شخص علي عزت بيجوفيتش بتاريخ حافل وثمانية اعوام في سجون الحكم الشيوعي اثناء وبعد رئاسة تيتو. المرة الاولى بين عامي ٤٦ / ١٩٤٩، والثانية بين عامي ٨٣ و ١٩٨٩. الرئيس الوحيد الذي عارض خصومه وهم في السلطة وتآدب معهم بعد رحيلهم. يذكر البوسنويون ان رئيس صربيا وكرواتيا كانا من عمد الحكم السابق وسرعان ما هاجماه بعد رحيله. احد العاملين بفنادق زغرب يدافع عن الرئيس توجمان - في هذا المجال بقوله «هل تلام الزوجة على اتباع زوجها؟».

التيار السياسي البوسنوي تتنازعه ثلاثة اتجاهات. اتجاه يطالب بضرورة الرهان الكامل على العالم الاسلامي. الثاني يدعو الى استبعاد ذلك الخيار في الوقت الراهن تحسبا للعامل الامريكي - الاوروبي الذي يضع علامة استفهام وربما استنكار امام التواصل مع العالم الاسلامي. الاتجاه الثالث يشير الى ادراك الغرب لحقيقة مشاعر الشارع البوسنوي. وان استبعاد العالم الاسلامي تحت تأثير معنوي غربي غير منظور هو هدف يتحقق لصالح هذا الغرب. يؤكد ذلك الاتجاه ان لامجال للمناورة والابتعاد عن الحاضنة التاريخية الاسلامية، وان الغرب لن يرضى في كل الاحوال الا بكسر اضلاع الحلم البوسنوي الاسلامي. الفريقان الاول والثالث يكادان يتطابقان الا في بعض التفاصيل. صحفى المانى متابع للحرب وزار العاصمة يقول ان الدمار الذي لحق بسرايفو يفوق ما شهدته برلين في نهاية الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء. مصادر بوسنوية تعزو القصف

المركز للجيش الصربي الى محاولة تركيع القيادة البوسنوية والتوقيع على قرار الاستسلام فتنهار المقاومة في كل انحاء الجمهورية. تدرك بلجراد ومعها رادوفان كاراجيتش ان سرايفو بمثابة المخ من الجسم البوسنوي المسلم. لذلك يصرون على التحدى الرامى الى اسقاط الجسم عبر المخ الذى يقاتل دفاعا عن وسط ظروف غاية في الصعوبة.

المطلوب - في حال عدم الاستسلام - تحقيق حالة اللاحرب والاسلم مع هيمنة صربية لغالبية اراضي البوسنة. هذا السيناريو يعد مكسبا حقيقيا لبلجراد التى تراهن على عنصر الزمن. رغم قرار الحظر الدولى، فصربيا تدرك تماما انها ليست العراق وان البوسنة ليست الكويت. لذلك تواصل وتستمر استنادا لخطة الامم المتحدة والتعامل مع الفرقاء تعامل الانداد المتساوين مما يسقط اهم الاوراق من ايدي الرئاسة الشرعية البوسنوية. قراءة سريعة لبعض التصريحات الغربية تظهر نغمة تقوم على «نزع سلاح الجميع» و«ادانة جميع الساسة» و«استنكار دور القادة في تصعيد الحرب» ووضع الجميع بالتالى في سلة واحدة. الحرب التى قد تطول لسنوات وسنوات لا يحسمها وفقا لاحد المصادر، سوى الانجاز على الارض في ظل ضعف احتمالات تدخل غربي عسكري وفنور اوروبى - امريكى بهذا الصدد. هذا الفتور «يؤثر السلامة في تان تنضج معه الوليمة عوضا عن ندامة في سرعة قد تنصف الجانب البوسنوي ومشروعه الاسلامي المحتمل رغم شعار علمانية الدولة» الرئيس بوش خرج مؤخرا بتصريح مفاده ان القوات الامريكية «لن تتحول الى شرطة العالم». مؤكدا ان هذه الكلمات الحاسمة قد وصلت الى اذان المسؤولين البوسنويين رغم الرحلات المتواصلة التى قام بها في الخارج وزير الخارجية حارس سيلاجيتش داعيا خلالها الى ضرورة التدخل العسكري الامريكى لوضع حد للعدوان الصربي.

الداخل البوسنوي يشهد وقفة شريفة من جزء لا يستهان به من الشارع الصربي الى جانب الشرعية. بعض الصرب خرجوا بالفعل ضمن مظاهرات في سرايفو معادية للعدوان الصربي. في نفس الوقت يؤكد الرئيس بيجوفيتش انه «ضد التقسيم القومى الذى لا يمكن ان يكون حلاً ناجحاً ودائماً لمشكلة البوسنة». وفي هجوم مضاد من جانبه ضد سياسة الامر الواقع التى بدأ يستشرف ملامحها في تصريحات اوروبية قال ان «تغييرات كبيرة حدثت في الشهرين الماضيين في البوسنة، وعلى المجموعة الاوروبية ان تأخذها في الاعتبار خلال اى محادثات قائمة بين الاطراف المعنية». ازمة البوسنة تؤكد من جديد ان مائدة المفاوضات تعكس ترجمة امينة وصادقة لقدرات كل فريق. والشرعية البوسنوية تدرك ان طرد «التشنتيك» وقوات بلجراد هدف اساسى، ان لم يتحقق قبل ان تفرض الامم المتحدة وضع اللا غالب والا مغلوب فلن اشياء كثيرة ستذهب مع رياح التاريخ من بينها مشروع الدولة البوسنوية ذاتها بحيث لا يبقى منه سوى الاسم.

شاهد على مأساة البوسنة

الخاتمة

يصعب تصور قارة أوروبا بدون جمهورية البوسنة والهرسك في ظل التطورات السياسية والعسكرية الأخيرة وصدر قرار الاعتراف الصادر عن الأمم المتحدة، لكن يظل السؤال الأهم هو: أي جمهورية ستبقى وتخرج من هذا المخاض؟! الوقائع تشير إلى معالجة غربية وأعية تهدف إلى إخراج الدولة الناشئة إلى حيز الواقع الدولي مفرغة من مضمونها التاريخي. اتساقاً مع ذلك تصب حالة الارتباك والعدوان السائدة في اتجاه المعالجة التي تستهدف تليين عناصر الازمة خاصة في جانبها البوسنوي.

هذه الرؤية تتماشى تماماً مع منطق طبيعة الأشياء. فالأقوى والغالب يفرض دائماً معادلته. والحكمة السائدة في المدرسة الدبلوماسية الغربية تتلخص في ترك الصغار يمارسون لعبتهم بكل تجاوزاتها بما يشكل سيناريو ملائماً ويفرن عناصر صالحة لتشكيل واقع المسرح وتهيته وفقاً لشروط هذه المدرسة.. فترة اللعب التي قد تطول أو تقصر يحكمها شرط عدم تجاوز الخط الأحمر أو خط المصالح الكبرى التي لا تعنى بالضرورة بكم الدماء المسالة قدر عنايتها بكم ونوع هذه المصالح. والمتابع لما يحدث على ساحة البوسنة والهرسك يدرك - وفقاً للمتاح من معلومات - أن الطرح الغربي يصطدم بالقيادة المحلية ولو على المستوى النظري. هذه القيادة تحمل في جعبتها طرحة إسلامياً مشروعا قادراً على استيعاب خصوصية التركيبة الطائفية بأحجامها الكبيرة. والعقبة الرئيسية الأكثر بروزاً في وجه المشروع بعيداً عن عداوة تاريخية مزمنة تتمثل في الجغرافيا أو التواجد في قلب أوروبا. العقبة الثانية هي إمكانية النجاح التي تبدو في الأفق. ويرى الكثيرون أن قدرة المنهج الإسلامي على الحكم ثابتة تاريخياً، ليس فقط في ظل أغلبية مسلمة، وإنما في ظل أقلية مسلمة مثلما حدث في الهند. ذلك أن المشروع الإسلامي يتداخل فيه بعدان لا ينفصلان. فهو من جهة عمل روحي له جوانبه الشعائرية، ومن ناحية أخرى يمثل نظاماً سياسياً يحق له أن يحكم دون أن يلزم غير المسلمين بشعائر التعبدية. العقبة الثالثة مرجعها إلى اتساع حيز تطبيق الإسلام في أكثر من موقع في عالم اليوم وخروج اتباعه من حالة الدفاع التي حشروا فيها عبر عمل شاق وطويل من الطرف الآخر أثمر نتائج ونجاحات ضخمة خلال القرن العشرين.

تأتي وجهة سؤال «ماذا بعد سراييفو؟» لتعيننا على محاولة استشراف ملامح المرحلة الغامضة القادمة بعد انتهاء الحصار والمعارك المفروضة على العاصمة ومن ثم مختلف أنحاء البوسنة والهرسك. لقد وقع الكثيرون من الإسلاميين في محذور التحليل الأحادي الصارم الذي يرى كل جزئيات الواقع ذات صبغة إسلامية، وإن بينه وبين الخطوة الأخيرة مسافة سنتيمتر واحد يتشبث بها أعداء الإسلام. التجربة القريبية العهد مع المسلمين الواقعيين تحت نفوذ الحكومات الشيوعية تثبت حالة الضباب الكثيف التي حجبت الرؤية الصحيحة. معاداة

الشيوعية التي تحارب الاديان ثم بوتيرة عالية اصبحت معها المعاداة اقوى من الموالاة. كان البحث حثيثا عن مهمة مهاجمة الشيوعية، فبدأ وكأنه مستهدف لذاته لتختفى في ثناياه محاولة فهم واقع المسلمين والاستماتة في حمايتهم. اضافة الى ذلك ظهر ذلك الجهد كتيار يصب لصالح احدى القوتين وقت اشتعال الحرب الباردة وحتى انهيار المعسكر الشيوعي، رغم ان الاسلاميين لم يعمدوا الى ذلك في وقت من الاوقات. دأب الاسلاميون على تصوير الموقف بعاطفة جياشة حتى تصور البعض ان ما يفصل بين مسلمى الاتحاد السوفييتى ودولة امير المؤمنين عمر بن الخطاب هو ازالة الحكم الشيوعي. كان ذلك ابعدا ما يكون عن الواقع السياسي المعاش فعلا. لم يكن القهر الذى جاوز كل حد كافيا ليتحقق ذلك الامل المنشود. لم ينتبه احد - بشكل موسع - الى دراسة الواقع بطريقة موضوعية لمعرفة امكانية العودة الى المشروع الاسلامى كاملا متكاملا

مرحلة ما بعد سقوط الشيوعية شهدت حالة استرخاء نفسي وسط صفوف الاسلاميين وهم يشاهدون نظما علمانية بديلة ترفع شارات بل واعلام دول اجنبية. يحدث ذلك في البانيا ذات الاغلبية المسلمة الساحقة. التساؤل المحير الذى يثير حفيظة المراقبين وهم يتابعون رد الفعل على هذه التحولات الكبيرة ملخصه. «اذا كان الهجوم تم بالامس من اجل المشروع الاسلامى فلماذا توقف - اذن - هذا الهجوم رغم ان معاداة المشروع لاتزال قائمة وان اختلفت الاساليب؟ ان الملاحظة الثانية التى لا تقل اهمية تمثل في الركون الى العموميات دون محاولة دراسة تضاريس هذه المجتمعات على نحو يسمح بفهم المشكلة ودراسة طرق المواجهة واحتمالات المستقبل لحماية للمسلمين وهويتهم.

الملاحظة السابقة نجد لها سندا في الازمة السياسية التي عصفت بأفغانستان بعد التحرير مباشرة، اذ لم يعد من المقيول تجاوز الحقائق السائدة وصولا الى شعارات مأمولة. فالفارق كبير وشاسع بين الامر الواقع وواقع الامر. الامر الواقع في افغانستان وفي ظل ما رأيناه من احداث يشهد خريطة قومية مؤثرة يستند اليها اكثر من رمز على الساحة من اجل تعطيل الطرح الاسلامى الاصيل الذى بذلت في سبيله ارواح مئات الالوف من الافغان. نعم هناك جهاد الافغان. لكن الدراسة الامينة الواعية، لابد وان تشير الى ظروف المجتمع ومعوقات تحقيق الهدف النهائى الذى تم باسمه خوض احد اشرف الحروب التى عرفتها الانسانية. اطلقت صفة «المجاهدين» على الكل وعلى الجميع بدون حساب. مرة اخرى كان تجاوز الحقائق السائدة وصولا الى شعارات مأمولة احد اخطاء الرؤية التى لا تحفل الا بما تحب ان ترى.

نحن هذه المرة امام سراييفو التى تفرض علينا تفهم الواقع اليوسنوي بما يحول دون ان تعقد المفاجأة السنتنا مثلما حدث ويحدث في دول اخرى. هنا توجد قيادة واعية بمواجهة رفض غربي حاسم لمشروعها، وبينهما

شاهد على مأساة البوسنة

اغلبية مسلمة ذات عاطفة جياشة وامية دينية مرعبة. الى اى مدى يتمكن وعي القيادة وعاطفية الاغلبية من تحقيق مشروع دولة المسلمين ذات الاقلييات الضخمة، في ظل فيتو يحمل اصحابه اوراق الحل والضغط؟! ولا يغيب عن الذهن ان طلب القيادة البوسنية لتدخل عسكري امريكى يردع الصرب، له ثمن ومقابل يحصل عليه القادر على تغيير المعادلة بالفعل وليس بالكلام فقط. معادلة صعبة ومعقدة تحتاج الى حنكة رجل مثل الرئيس على عزت بيجوفيتش الذى يحارب على اكثر من جبهة في وقت واحد. علينا الا ننتظر منه اكثر مما يحتمل. فاغلب الدول الاسلامية باستثناء قلة منها انتظرت الضوء الاخضر الغربي اولا قبل ان تقدم على اى اجراء ضد صربيا. ما بعد سراييفو - اذن - مرحلة صارمة في اهدافها وواقعها. صرامة العدوان الصربي الذى يفسح له المجال ضمن حسابات دولية دقيقة. فعديوان بلجراد رغم ضجيج القصف، عمل منظم مطلوب لذاته كي يتم تهشيم عظام الدولة الوليد دون سحقها، من اجل اعادة تشكيل الهيكل البديل لجمهورية البوسنة والهرسك.

ان الغرب لا يقبل بحال من الاحوال ظهور دولة اسلامية في قلب أوروبا. لذلك يسعى الى فرض معادلته القائمة على علمانية الدولة بضمانات لاتحتمل اللبس او تقسيمها نهائيا. وربما احتاج الامر الى تثبيت حالة اللاسلم واللاحرب لفترة قد تطول او تقصر ريثما يمكن التعامل مع الطرح الاسلامي المتنامي. في البوسنة والهرسك يتم ذلك كله رغم مشروع اعلان مبادئ الترتيبات الدستورية الذي ينص على علمانية الدولة، لكن ذلك — على ما يبدو — غير كافٍ.

الملاحق

(اعلان المبادئ ●)

تضم البوسنة والهرسك تركيبة عرقية ودينية شديدة التشابك من بينها اغلبيية ضئيلة للمسلمين باجمالي نسبته ٤٤٪ وفقا للاحصاءات المعلنة. قيادة البوسنة والمسلمين ممثلة في الرئيس علي عزت بيجوفيتش مارست قدرا هائلا من ضبط النفس والتعامل مع الواقع المعاش دون القفز فوقه من اجل الحفاظ على وحدة اراضي الجمهورية الثابتة تاريخيا منذ امد طويل. الخلاف الرئيسي بين المسلمين والصرب يتمثل في استماتة الطرف الاول على هذه الوحدة لانها خياره الوحيد ومجاله الحيوي الذي لايدل عنه. الطرف الثاني يمارس ديبلوماسية الخيارات المتعددة لان لديه جمهورية الصرب قائمة خارج الحدود لذلك يعتبر الانفصال خيارا قائما لدى القيادة الصربية في البوسنة والهرسك. الاحتكام الى العقل، والواقع، والسلام، ونبذ السلاح والعنف احد ابرز ملامح فكر بيجوفيتش الزعامة التاريخية للمسلمين ورئيس الجمهورية. وهو الامر الشائع في حزب العمل الديمقراطي «حزب المسلمين». وقد توصلت قيادات الجمهوريات الثلاث الى وضع اعلان مبادئ يضع فيها الجميع وبصياغة مشتركة تصوراتهم لجمهورية المستقبل المستقلة ذات السيادة. فقرات الاعلان وسطوره.. فراغاته ونشوءاته تحمل الملامح والمعاني التالية التي لم يكتبها الموقعون:

- ١ — الاقلية الصربية الضخمة التي تمثل نحو ثلث سكان الجمهورية وما تحمله من امل الابقاء على اكبر ساحة ممكنة من اراضي الجمهورية اليوغسلافية تحت العلم اليوغسلافي. يستتبع ذلك احتمالات العمل على تدمير النزعة الاستقلالية اليوسنوية سواء عبر الابقاء عليها في الاطار اليوغسلافي وهو ما تجاوزته الاحداث، او تفريغ الاستقلال اليوسنوي من مضمونه بانتزاع الاراضي التي يسكنها الصرب والحاقتها بجمهورية الصرب او ما تبقى من يوغسلافيا الاتحادية.
- ٢ — جيش فيدرالي تحت مسميات مختلفة يتركز وبعثاده المتنوع في اراض البوسنة والهرسك، الامر الذي اثر — بشكل او بآخر — في حركة اقلام الموقعين على البيان ناهيك عن كثافة المداد ذاته للدرجة التي تختفي معها حروف وتظهر اخرى.
- ٣ — رعاية اوروبية شاغلها الشاغل وهاجسها الاول الحيلولة دون قيام دولة مسلمة في اوروبا تحمل في ثناياها التزاما اسلاميا حقيقيا.

- ٤ — حليف يمثل الكروات يرتبط والمسلمين بمصلحة مشتركة قوامها مواجهة الصرب او العدو المشترك. يسير هذا الحلف فقط حتى حدود مواجهة الصرب لينفك بعد ذلك مع اول منعطف.
- ٥ — انعدام الدعم الخارجي الشامل لمسلمي البوسنة والهرسك بينما يتلقى الصرب والكروات دعما اوروبيا بتنوعات مختلفة سواء على اساس العقيدتين الارثوذكسية والكاثوليكية التي ينتمي

● تم وضع «اعلان مبادئ الترتيبات الدستورية» والاتفاق عليه بواسطة الاحزاب الرئيسية الثلاثة للمسلمين والصرب والكروات في الثامن عشر من مارس عام ١٩٩٢.

شاهد على مأساة البوسنة

اليها كلاهما او من دول الجوار ذات العلاقات التاريخية الوثيقة مثل اليونان والمانيا. اضافة الى ذلك وجود الدولة الام لكل من الاقليتين فهناك جمهورية الصرب من جهة وجمهورية كرواتيا من جهة اخرى، بينما يبقى المسلمون وحدهم في الساحة.

في كل الاحوال يتبقى في النهاية الاحتكام الى اعلان المبادئ، لنقرأ اسطورة وخلفياته كما يلي:

(«أ» الاستقلال)

١ — البوسنة والهرسك دولة مؤلفة من ثلاث وحدات تأسيسية، تقوم على المبادئ الوطنية وتأخذ في الاعتبار المعايير الاقتصادية والجغرافية وغيرها.

٢ — البوسنة والهرسك تحرص على استمرار بقاء حدودها الحالية. كما انه لا حكومة البوسنة والهرسك ولا الحكومات الاعضاء الثلاث سوف تشجع او تؤيد اي مطالب بأي جزء من اراضيها من قبل دول الجوار.

٣ — يتمتع بالسيادة المواطنون المسلمون والصرب والكروات ومختلف الامم والقوميات الاخرى، وهم يحققون ذلك عبر المشاركة المدنية في الوحدات التأسيسية الثلاث والاعضاء الرئيسيون الآخرون في الجمهورية.

(«ب» المبادئ العامة)

١ — البوسنة والهرسك والوحدات التأسيسية الثلاث تحكم وفقا لما يلي من مبادئ دستورية تلك التي تفهم وتطبق عامة في الدول الديمقراطية الغرب اوروبية وايضا بما يتفق مع ما تم الاتفاق بشأنه في مسودة الاتفاقية «تحت المناقشة».

أ — احترام حقوق الانسان في اعلى درجاتها كما هو متصور في مسودة الاتفاقية. بالتأكيد على الملكية الخاصة واقتصاد السوق وتكوين المؤسسات التجارية.

ب — الحق العام والمتساوي في التصويت، واجراء الانتخابات الحرة التي تكفل سرية التصويت.

ت — حرية الانشطة السياسية والتجارية.

ث — دولة ذات نظام علماني مع حرية دينية تامة وفصل بين الكنيسة والدولة، وفصل بين سلطات الدولة، وتأکید دور القانون والنظام الديمقراطي الفعال في مراقبة وحماية الشرعية والدستورية.

ج — مراقبة دولية وقضائية لحماية حقوق الانسان والحرية.

(«ت» مجلس النواب والدولة)

١ — مجلس النواب هو مجلس مكون من مواطني الجمهورية الذين ينتخبون بالاقتراع المباشر ومجلس ثان مكون بالتساوي من ممثلين لوحدات الجمهورية الثلاث.

٢ — يمثل مجلس النواب مجلس المواطنين ومجلس ممثلي الوحدات، وتقوم الحكومة عبر الاجراءات التنفيذية بتنظيم مقترحات الوحدات الثلاث فيما يلي: المصرف المركزي والسياسة

النقدية — العلاقات الخارجية — الدفاع — السياسة الاقتصادية العامة — العلاقات الاقتصادية. يضاف الى هذا، الفروع تلك التي تتداخل بين أكثر من وحدة من الوحدات الثلاث التي تشكل مجموع الجمهورية وهي: المواصلات — امدادات الطاقة — خطوط الانابيب وترتيبات المياه وما يستجد من امور اخرى.

يؤخذ بأغلبية الاربعة اخماس من اجمالي اصوات مجلس ممثلي الوحدات الثلاث عند مناقشة القضايا التالية: العلم — الشعار — التعليم العالي — الدين — الشؤون المتعلقة بالدفاع — السياسات العريضة للاقتصاد / الامور العامة والهامة المتعلقة بالسياسة الاقتصادية — القرارات الخاصة بالعلاقات بين البوسنة والهرسك ودول الجوار، وما يستجد من قضايا.

ملاحظة:

يتم تحديد الامور المتعلقة حول القوات المسلحة مستقبلا خلال المفاوضات الحالية، وهو ما لا ينطبق على القوات الحالية التي تعد قضية سيتم حلها بشكل منفصل.

٣ — يتم تشكيل قوام الخدمة المدنية والادارة القضائية بطريقة نسبية وفقا للتركيب الوطنية للجمهورية.

٤ — يتم تأسيس محكمة خاصة للفصل في مجال الاستفسارات الدستورية بين سلطات الجمهورية في الوحدات التأسيسية الثلاث، تستمر المحكمة في العمل لفترة لا تقل عن خمس سنوات وتشمل عناصر نزيهة من خارج الجمهورية ودول الجوار، تضم المحكمة عضوا من كل واحدة تأسيسية في وحدات الدولة الثلاث التأسيسية ونفس العدد من خارج الجمهورية، وتأخذ قراراتها بالاغلبية البسيطة.

(«ث» الوحدات التأسيسية)

١ — يتم تشكيل الوحدات كما هو مبين في الفقرة «ج» لاحقا.

٢ — مجلس النواب والحكومة لديهما السلطة على المستوى التشريعي للدولة في المجالات المحددة اعلاه ووفقا للاجراءات المتفق عليها اعلاه ايضا وذلك لسن القوانين وادارة الامور المتعلقة بالوحدات التأسيسية الثلاث فيما يعني ادارة الشؤون الخدمية والرسمية لهذه الوحدات — نزع الملكية للاستخدام العام — تسجيل الاراضي — الوقاية من الحرائق — الغرف التجارية — الاشراف على المنظمات التجارية التعاونية — بنوك الادخار ومؤسسات الاقراض — الاشراف على المؤسسات الخيرية — الضمان الاجتماعي — التأمين ضد المرض — الحفاظ على التراث التاريخي — والثقافي والفني والمؤسسات مثل المكتبات والمعاهد والمتاحف — استخدام الاراضي — مراقبة البيئة — الاسكان — الاسواق — الطرق — خدمات الطاقة — التعدين — الصيد البري والبحري — خدمات الطبيعة — ترتيبات مجاري المياه — انابيب النقل — النقل من خلال الوحدات التأسيسية — السياحة — الزراعة والغابات — المساعدة الاجتماعية — التعليم — المدارس — الشرطة — التجارة ومظاهر السياسة الاقتصادية الاخرى — الامن والاعمال العامة — الصحة — الرياضة وسبل قضاء الوقت «الاستحمام» — ما يستجد من موضوعات.

شاهد على مأساة البوسنة

تستطيع الوحدة التأسيسية تأسيس والابقاء على العلاقات والروابط مع جمهوريات أخرى ومنظمات بشكل ينسق مع استقلال وحدة اراضي جمهورية البوسنة والهرسك.

٣ — كل المؤسسات «الخدمية المدنية — القضائية — الخ...» التي اقامها نظام الوحدات التأسيسية تعكس بطريقة نسبية التشكيلة الوطنية لهذه الوحدات.

٤ — اعضاء الشعوب الذين يمثلون اقلية في الوحدة التأسيسية يتمتعون بالحماية.

(«ج» تعريف الوحدات التأسيسية)

يتم تشكيل مجموعة عمل من اجل تخطيط اراض الوحدات التأسيسية، تقوم على المبادئ الوطنية وتأخذ بعين الاعتبار الامور الجغرافية والاقتصادية وغير ذلك من الامور. تقوم الخريطة على اساس الاغلبية السكانية المطلقة او النسبية في كل مجلس بلدي، بحيث يكون ذلك اساس مهمة مجموعة العمل، يخضع هذا العمل للتعديل فقط من قبل المستويات الاعلى. كما يتم الحاق نسخة من الخريطة بهذا الاعلان.

(«ح» الخطوات الانتقالية)

يتم اعداد قانون دستوري لتعديل الدستور من اجل اضعاف قوة التأثير على هذه المبادئ الامر الذي يتيح للوحدات التأسيسية اجراء ترتيبات مستقبلية بما يتفق والجزء «ث» من الاعلان.

ثم الانتهاء من هذه المسودة في سراييفو في الثامن عشر من مارس لتكون اساسا للمفاوضات اللاحقة. وجرى الموافقة عليها بواسطة قادة الاحزاب الثلاثة «المسلمون — الصرب — الكروات» في الجولة الخامسة من المحادثات حول الترتيبات الدستورية المستقبلية للبوسنة والهرسك تحت رعاية مؤتمر سلام المجموعة الاوروبية.

**CENTRAL COMMISSION REPORT
FOR THE ASSEMBLY OF THE
MUSLIM NATIONAL COUNCIL**

DATE: November 4, 1991
SUBJECT: *Referendum Results on Full
Autonomy of Sanjak held
on October 25, 26, 27 1991*

After we had received all municipalities' commissions reports from Sanjak and other communes from all over Yugoslavia, where citizens of Sanjak are living and working temporarily, and after receiving results from other foreign countries where citizens participated in the referendum, we, the central commission for carrying out the referendum on autonomy of the Sanjak, have counted all the received results and we have tabulated the following voting figures:

In voting polls for the referendum on autonomy of Sanjak, in Sanjak municipalities, as well as other places in Yugoslavia and abroad, there were 264,156 registered and eligible voters. From this total number in the polling register, 185,437 eligible voters went to the polls, or 70.19 percent of eligible and registered voters.

On the referendum question: "YES - In favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak, with the right of connection to one of the sovereign republics", the vote count was 183,302 or 88.85 percent of all votes. This is 69.39 percent of the entire body of eligible voters.

On the referendum question: "NO - not in favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak", the vote count was 1,982 or 1.07 percent of all votes.

Invalid voting papers (ballots) totalled to 153, which is 0.08 percent of all casted votes.

All material used to carry out the referendum, including the ballots and tabulation sheets, is properly sorted, stored and classified in separated envelopes, and is being held by a special body of the Muslim National Council, which is taking care of its proper storage.

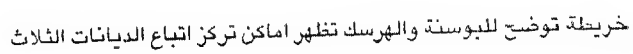
Based on the above facts, the Central Commission for the carrying out of the Referendum on autonomy of the Sanjak can state that the referendum succeeded.

Commission members:

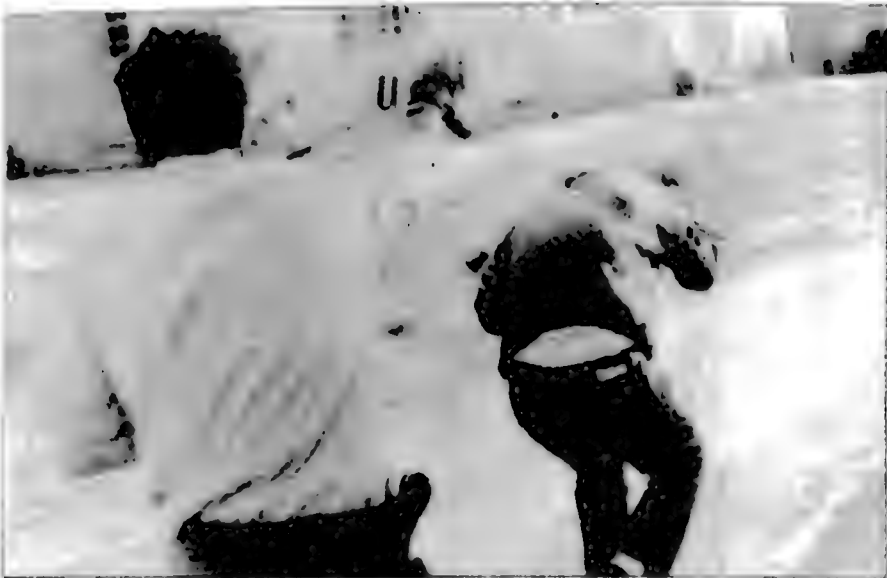
1. Dr. Rasim Ujajic, president	signature
2. Dr. Fevzija Muric, vice-president	signature
3. Prof. Azem Hajdarevic, member	signature
4. Hadija Jakupovic, member	signature
5. Kasim Zoranic, member	signature

No 19/ '91
Novi Pazar October 4, 1991

النسخة الانجليزية لتقرير اللجنة المركزية لاجتماع مجلس المسلمين الوطني بالسنجق وتوضيح نتيجة الاستفتاء على الحكم الذاتي الكامل للاقليم الذي تم في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ اكتوبر عام ١٩٩١ واسفر عن موافقة نسبة ٩٨,٨٥٪ من الذين ادلوا بأصواتهم، و ٦٩,٣٩٪ من اجمالي الناخبين.

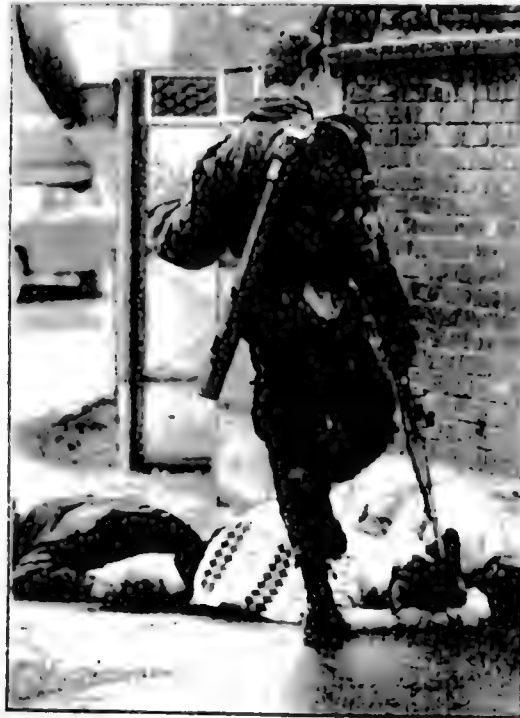


المأساة بالصور



مسلح
ويحمل السلاح
على مرمى
خطوات

المأساة
بالصور



القدم بعد
الرضاس
والنحية
مسلمون.



٨٢

واظـر سـيارـة
فـي الطـريق الـى
مـمـكـرات
الـاجـثـين بـكـروا تـيا.

ام شهيد
بوسنوي





احد مساجد سرايفو قبل القصف الصربي.

شاهين علي فاضل



الزلف داخل عند مخايبه السلاح النوسمية



.. ومع المقاتلين الكروات في كارلوفاتس.

المأساة في الصور



أحمد
مباني
رايد
سحر و.

شاهد على مأساة البوسنة



٨٦

قناص مسلم
يصبوب نحو
موقع
مربي.

قتال
الشوارع.





زوجان من
البوسنة ينتظران
من داخل منزلهما
الذي تعرض
لقصف العدوان
الصربي.

جرحى
بوسنويون

شاهد في قرية البوسنة

١٥٠



جثث بالجملة لـ مسلمي البوسنة والهرسك

المهاجرون



مهاجرون من
قرية تسمى
البيرونة في
الجزيرة
الاردنية

تتساءل.

شاهد على مأساة البوسنة

٩٠



داخل معسكر
للمهاجرين في
المدينة الرياضية
في سبليت.



ملامح الكارثة تعلو الوجوه.



ضاحية من
فسواحي
سراييفو لم
تسلم من
القصف

نظرة
غضب في
قلب سراييفو
تصنعها
رصاصة
القنص
الغربي



ام بوسنوية تحمل ابنتها التي فقدت الذراعين من جراء التسليحة



الغابات
بوساواران
جنت متنت
لغونديسيه
موسو يمسانيست
موزو المعزرة

مصافي نفط
طالما
القصيف في
جيساشكي
برود.



شاهد على مأساة البوسنة

٩٤



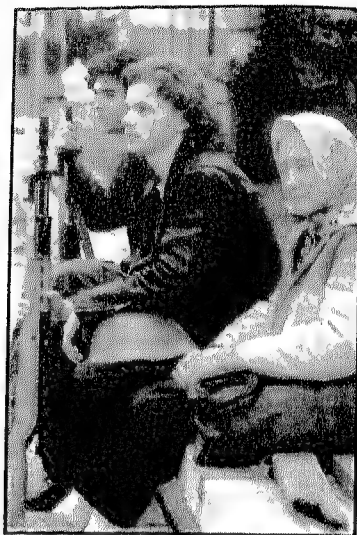
عشرات الايدي للحصول على لقمة

المأساة بالصور

٩٥



حرب الشوارع لا تتوقف.



جيل يتذكر مآسي الاربعينات
.. جيل يدافع عن الاسلام



الحصول على الغذاء
مشكلة حقيقية.

شهداء فلسطين الجرحى

٤٩



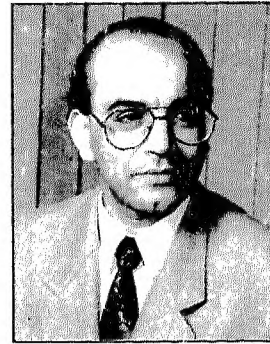
وسبيل شهداء العرب في الحرة القريب من العاصمة



مزار شهيد ينام تحت ثلج الشتاء في سراييفو.

حالتنا هذا ابتلاء من الله عز وجل،
كما هو تكريم منه جل شأنه، لقد
اضطربنا الظرف الحال الى التحرك
لنقرر مصيرنا والتعامل مع
الاحداث بواقعية تأخذ بعين
الاعتبار ما يحدث فعلا على الارض،
وليس ما يتمناه لنا الآخرون علينا
بالقناتل والمحافظة على وجود
المسلمين وحياتهم بالقوة. لابد من
الجهاد للابقاء على المسلمين احياء
بمواجهة دنس عدوان الصرب
والجيل الاسود (موشينجرو).

د. سليمان اوجليانين
رئيس حزب العمل
الديمقراطي في السنجق



المؤلف:

- مواليد عام ١٩٥٣
- بكالوريوس
- صحافة من كلية الاعلام
- بجامعة القاهرة.
- حاصل على دبلوم
- اللغة الفرنسية والمرحلة
- المتوسطة من الدبلوم
- العالي للادب الفرنسي من
- الالينس فرانسيز.
- صحفي بجريدة
- الجمهورية عضو نقابة
- الصحفيين المصرية.
- عمل صحفيا في
- خمس دول عربية
- وأوروبية.
- يعمل حاليا مديرا
- لمكتب جريدة «الاتحاد»
- الطيبانية في باريس.
- صدر له كتاب
- بعنوان «١٧ قضية في
- ميزان الاسلام»

710

الشن: ١٠ دراهم

ربيع هذا الكتاب يخص
نظامي البوسنة والهرسك